وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر –بسكرة–

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

الروائي والتاريخي في رواية

"وادي الأسرار" لمحمد مرتاض

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعدادالطالبة:

وهيبة بوبكر

إشراف الأستاذة:

هنية جوادي

السنــة الجامعيــة:

1436/1435هـ

2015/2014م

شكر و عرفان

اللهم لك الحمد و الشكر، بنعمتك تتم الصالحات فلك الحمد كله، و بيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله.

و بعد شكر الله، أتقدم بموفور الشكر و العرفان الى الأستاذة المشرفة "جوادي هنية"، وللوالدين فدام الصدر الرحب الذي لا يكل و لا يمل فلهم مني جزيل الشكر و فائق التقدير و الاحترام.

و لكل من قدم لي يد العون من قريب أو بعيد.

مقدمة

مقدمـــــــــــــــــــــة:

تعد الرواية من أكثر النصوص الأدبية استحضارا للأحداث التاريخية وللمظاهر الإجتماعية، وللأنساق الفكرية الإيديولوجية، فهي تقدم للقارئ وفق رسالة فكرية أدبية، تعتمد التشكيل السردي المبني على عناصر متباينة من بناء لغوي وزمني ومكاني، هدفها الأول ضمان مقروئيتها وخلق متعة جمالية لمتلقيها، كل هذه الاعتبارات وغيرها جعلت النص الروائي يتميز عن باقي الأجناس الأخرى كونه يرتبط ارتباطا وثيقا بالحياة المجتمعية، هذا مايسمح له بإمكانية تصوير الواقع الكائن والواقع الممكن ضمن السيرورة التاريخية للمجتمع.تعيد الرواية الجزائرية استثمار أحداث التاريخ ووقائعه في إنتاجها للدلالات الروائية، وتقدم لقارئها توظيفات شتى وتختار كيفيات وطرق مختلفة في التركيب بين المادة التاريخية ومتطلبات العمل الفني. ومن هنا وقع اختياري على هذا الموضوع: الروائي والتاريخي في رواية "وادي الأسرار" لمحمد مرتاض باعتباره نصا يشكل المكون التاريخي أحد أهم عناصره البنائية. نحاول من خلال الإشكالية المذكورة الإجابة عن التساؤلات الآتية: ما مفهوم كل من الرواية والتاريخ؟ وما طبيعة العلاقة بينهما؟ كيف استثمرت الرواية أحداث الثورة المسلحة في إنتاج الدلالة الروائية؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات جرى تقسيم البحث إلى مدخل وفصلين، تناول المدخل: مفردات البحث ومصطلحاته الأساسية كالرواية والتاريخ وأشار إلى العلاقة بينهما، في حين خصصت الفصل الأول والموسوم بتجليات التاريخ في الرواية؛ لدراسة الأحداث والزمن والمكان، أما الفصل الثاني والموسوم بجماليات التاريخ في الرواية؛ فقد تناول لغة السرد ولغة التاريخ ثم عالج عنصر المكان التاريخي والمتخيل الروائي، وأيضا عنصر شعرية الزمن التاريخي.

لإنجاز هذا البحث اعتمدت على المنهج الوصفي، كما استعنت بالمنهج السيميائي والتاريخي في كشف دلالات التاريخ في الرواية وتتبع مسار علاقة الرواية بالتاريخ.

أما عن المصادر والمراجع التي استعنت بها في إنجاز هذا البحث فكان أهمها: الرواية والتاريخ لنضال الشمالي، الرواية والتاريخ لعبد السلام أقلمون، بنية الشكل الروائي لحسن بحراوي، وكتاب الرواية وتأويل التاريخ لفيصل دراج، والرواية والتأويل لمصطفى الكيلاني...

أما عن الصعوبات التي اعترضت سبيلي وأنا أنجز هذا العمل؛ فكان في مقدمتها ضيق الوقت وندرة الدراسات المتعمقة في مجال الرواية والتاريخ.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة على البحث جوادي هنية على نصائحها وتوجيهاتها.

مدخـــــل:

تحديد مفهوم مفردات البحث

1.مفهوم الرواية

2.مفهوم التاريخ

3.علاقة الرواية بالتاريخ

4.حضور التاريخ في الرواية

1/ مفهوم الرواية:

الرواية من أهم الفنون التي كانت و ما زالت ذات صيت ذائع و مكانة رفيعة لدى الأدباء و النقاد العرب و الغرب لذا اهتم بها عدد كبير من الباحثين و تغلغلوا في أغوارها بهدف الوصول الى ماهيتها. و من بين هؤلاء المنظر الروائي**جورج لوكاتش**الذي يرى " أن الرواية ملحمة بورجوازية أو ملحمة عالم بدون آلهة، و هي الشكل الأدبي الرئيس لعالم لم يعد فيه الإنسان لا في وطنه و لا مغتربا كل الاغتراب، فالرواية عنده تمثل القطيعة بين الذات و الموضوع و بين الأنا و العالم، و تبرز هذه القطيعة خاصة في الطابع الإشكالي للبطل."[1]

و يظهر من تعريفه أنه ربط الرواية بالملحمة، فالملحمة هي رواية طويلة أبطالها آلهة و أنصاف آلهة، على عكس الرواية التي تخلو من أبطال من هذا النوع، فالملحمة وجدت في عصور مضت و انتهت و انتهت هي الأخرى بانتهائها.

أما بالنسبة لميخائيل باختين فقد " ارتبطت الرواية لديه بانتشار الكلام، الحي و التفكير اللارسمي، حين كان التصوير الواقعي للحياة صفة الأجناس الدنيا و علينا

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء الزمن الشخصية)،المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1 ، 1990، ص 07.06.

أن نبحث بذلك عن أصل الرواية في الفلكلور أو الهزل الشعبي الذي أسس لعلاقة جديدة مع اللغة و ظهر كسلف لها."[1]

أي أن الرواية تحكي الواقع لذا سنجد أصلها بتتبع أدنى جنس أدبي.

من جهة أخرى يرى قوت**JohannWolfgangGouthe(1749-1832)**أن:

"الرواية ملحمة تتيح للمؤلف أن يلتمس من خلالها معالجة الكون بطريقته الخاصة، و لكن يمكن إلقاء سؤال يتجسم في معرفة ما إذا كان له حقا طريقة ما؟ و ما عدا ذلك مجرد فضول".[2]

حسب رأي قوت الرواية تعطي فرصة لمؤلفها، بأن يبدي رأيه في الكون بطريقة تخصه لوحده، و من ثَمَ فهي طريقة للتعبير عن الآراء بطريقة مختلفة و بشكل متميز.

ويذهب ميشال زيرافاM.Zéraffa:"أن الرواية في المستوى الأول عبارة عن جنس سردي نثري، بينما يبدو هذا السرد في المستوى الثاني حكاية خيالية".[3]

---

[1]سليمةعذاوري،الرواية و التاريخ (دراسة في العلاقات النصية) "رواية العلامة" لابن سالم حميش نموذجا، إشراف: واسيني الأعرج، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي ، قسم اللغة و الأدب العربي، جامعة الجزائر، 2006.2005، ص 33.

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1998، ص13.

[3] المرجع نفسه ص 15.

ينحوزيرافا منحى آخر في تعريفه للرواية، إذ تعد عنده مجرد حكاية خيالية تحكى بطابع سردي نثري.

أما الناقد الروائي السوري نبيل سليمان فإنه يرى أن الرواية جنس أدبي في مركز الحركة الدينامية للأجناسالأدبية العربية تماشيا مع القول السائد، "الرواية ديوان العرب الجديد، ذلك أن السيرورة الأدبية تؤدي إلى سيادة الرواية و استقلالها عن باقي الأجناس".[1]

هذا ما جعل الرواية تمتاز بخاصية جعلتها قادرة على استدعاء كم هائل من النصوص و الخطابات و المستويات المختلفة، ألا و هي خاصية الانفتاح على كل الأجناس الأدبية و غير الأدبية و في مقدمتها التاريخ.

تتميز الرواية إذا عن سائر الأجناس الأدبية في أنها مزيج من تقنيات أدبية يستخدمها الكاتب دون قيد أو شرط، أي أنه لا يوجد ما يقيده بالانتقال من وجهة نظر إلى أخرى، فالكاتب حر في إدخاله ما يريد من عناصر متنوعة إلى روايته و بالطريقة التي يراها مناسبة.[2]أي أن الروائي يكون حرا طليقا حين كتابته للرواية لذا

---

[1] مصطفى المويقن، تشكل المكونات الروائية، دار الحوار اللاذقية، سوريا، ط1،2001، ص80.

[2]نجوى منصوري، الموروث السردي في الرواية الجزائرية"روايات الطاهر وطار وواسيني الأعرج أنموذجا" مقاربة تحليلية تأويلية، إشراف: الطيب بودربالة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الحديث، جامعة باتنة،2012.2011، ص76.

تجد معظم الأدباء يتوجهون إلى هذا الجنس الأدبي لما يجدونه فيه من حرية وانفتاح دون قيود.

لم تعد الرواية تعبيرا عما قاله التاريخ بلغة فنية، لكنها التقاط تفاصيل ثانوية هامشية يتجاهلها التاريخ، هناك أحداث ربما لبساطتها سقطت من التاريخ و لم يعرها اهتماما، تلك الأحداث احتضنتها الرواية و انطلقت منها لإتمام ما بدأه التاريخ.[1] فشكل الرواية يشبه شكل الشجرة، فيكون الجذع بمثابة العمود الفقري للقصة التي تبلغ ذروتها عند أعلى الأغصان الجانبية فهي الحبكات الثانوية، و لكن الشكل يفقد تناسقه إذاأصبح أحدهما طويلا أو كثيفا، أماالأغصان الصغيرة، الأوراق و الثمار بمثابة التفصيلات التي تحتوي الضوء و الظل و اللون و الكثير من التراكيب و الإحالات.[2]

الرواية لا تستنطق الواقع بل الحياة، و الحياة ليست هي ما حدث، الحياة هي مجال الإمكانات الإنسانية، كل شيء يمكن أن يكونه الإنسان، كل شيء يستطيعه و الروائيون يرسمون خريطة الحياة باكتشاف هذه الإمكانية الإنسانية أوتلك.[3]

---

[1] حليمة بولحية، تجلى التاريخ في الرواية الجزائرية"طيور في الظهيرة و البزاة" لمرزاق بقطاش أنموذجا، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، منشورات مخبر أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 09،2013، ص130.

[2] عبد الكريم الجبوري، الإبداع في الكتابة و الرواية، دار الطليعة الجديدة، سوريا، دمشق، ط1، 2003، ص141.

[3] عبد السلام أقلمون، الرواية و التاريخ، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2010، ص234.

نخلص إلى أن الرواية عبارة عن حكاية(قصة) طويلة بأجزاءأو فصول تستمد أحداثها من الحياة (الواقع) و تحكي عن أشخاص حقيقيين أو خياليين و لها أبطال محددون، كما تستغرق فترة زمنية طويلة، فقد واكبت الرواية كل التحولات الاجتماعية و السياسية والحضارية و الثقافية التي عرفها العالم و بخاصة الأوربي و قد أسهم عامل الاحتكاك مع الغرب في نقل نظريات الرواية إلى الثقافة العربية و منها إلى الأدب العربي.

و لما كانت الكتابة تصنع التاريخ و تتشكل بواسطته أو من خلاله تاريخها الخاص و تتوسل في تلك الذاكرة الحكي الشفوي و التاريخ المكتوب... فكون بذلك (التاريخ) مادة قصصية و تشكيلية و من ثم حري بنا أن نقف أيضا عند مفهوم مصطلح التاريخ باعتباره مفردة هامة في هذا البحث.

2/مفهوم التاريخ :

ترسخت في أذهاننا منذ الصغر فكرة مفادها أن التاريخ هوعبارة عن زمن مضى وولى، نسمع عنه في مناسبات خاصة في التلفاز أو من خلال حكايات الجدات المشوقة، وهذا الزمن الماضي وقعت فيه أحداث تستحق الذكر أو وقائع ترسخت في الأذهان لسبب ما...يرى بعض الدراسين،أن التاريخ تدوين لسير الحضارة الإنسانية، ثم لا ينبغي أن يرتبط بالفن أويتغياه، و الواقع أن التاريخ لا يجيز لنفسه أن يجعل الفن من أهدافه[...]كان مع الحكاية جنسا واحدا في رحم الأسطورة، خلفت له صيغا

فنية التزمها بعض المؤرخين و نبه بعضهم الآخر لضرورة نفيها ليستقل التاريخ بعلميته.[1]التاريخ علم و نشاط إنساني دأب منذ القديم على توقيع حضوره و إبراز أدواته من خلال اندساسه في الحياة المجتمعية و مواكبته للتحولات الإقتصادية و التغيرات السياسية.[2]

يتجلى لنا من خلال المفهومين السابقين أن التاريخ واقع إنساني مرتبط بالحياة و ليس بالضرورة أن يرتبط بالفن، لأنه مستقل بعلميته ف "التاريخ رواية وقعت، و الرواية تاريخ قابل للوقوع".[3]ذلك أن"التاريخ هو الزمان و الزمان ليس منفصلا عن الإنسان، الإنسان بمفرده تاريخ في جوهره له بداية و نهاية".[4]

أي أن التاريخ و بشكل مختصر زمان، وهو في نظر عمر فروخ ذو فائدة و عيزة:"التاريخ معلم للبشرية و ليس قصة للتسلية في ليالي الشتاء".[5]

أمابلزاك فيقول:"أريد كتابة تاريخ التقاليد و العادات و غيرها مما أهمله المؤرخون".[6]

---

[1] عبد السلام أقلمون، الرواية و التاريخ، ص 29.

[2]ينظر:مصطفى المويقن ، تشكل المكونات الروائية، ص 80.

[3] حليمة بولحية، تجلي التاريخ في الرواية الجزائرية، ص 130.

[4] مسيكة بلباشة،حضور التاريخ في الرواية الجزائرية "رواية كريماتوريومسوناتاالأشباح القدس" للأعرج واسيني، إشراف محمد الأمين بحري، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الآداب و اللغة العربية، تخصص أدب حديث و معاصر، قسم اللغة و الأدب العربي، 2012، ص 09.

[5] عبد السلام أقلمون، الرواية و التاريخ، ص 30.

[6]إيمان بن عمر، رؤية التاريخ في رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد" لواسيني الأعرج (دراسة في تخيل المرجع)، إشراف: بن دحمان عبد الرزاق، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الآداب و اللغة العربية، تخصص أدب حديث و معاصر،جامعة بسكرة، 2013، ص09.

للتاريخ خاصية تعليمية فهو يدون سير الحضارات من جوانب متعددة. "التاريخ معرفة و الرواية تحليل".[1]

و من جهة أخرى لهما علاقة بكاتب التاريخ و بحقيقة المادة التاريخية فنجد أن: "المؤرخ لا يستطيع أن يخرج عن رواية الأحداث الفعلية من تفاصيل الماضي، أماالأديب فله أن يروي كلما يمكن أو يحتمل أن يحدث و بذلك فمجاله أرحب في التعامل مع العموميات".[2]

و بوجه عام التاريخ يحكي أحداثا واقعية جرى وقوعها في الماضي.

من جهة أخرى يرى مصطفى الكيلاني في كتابة الرواية و التأويل أن التاريخ لم يعرف "باستعارة الإستعارة" شأن الإستعارة اللغوية يتسع مجالها بالإستعارة السردية، تستقي علاماتها و رموزها من التاريخ المعلن أو الخفي بانتهاج وهم المطابقة أحيانا بين الموصوف السردي الروائي و بين الواقع التاريخي على أساس القول بإثبات التماثل بين المروي و "الحقيقة التاريخية" أو اعتماد الإيحاء.[3]يمكن تعريف النص التاريخي على أنه نص وجه في لحظة زمنية معينة إلى زمانه و مكانه أي أنه

---

[1] جوادي هنية، التمثيل السردي للتاريخ الوطني في روايات واسيني الأعرج، مجلة المخبر، منشورات مخبر أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر،ع:09،2013، ص 254.

[2]جوادي هنية،التمثيل السردي للتاريخ الوطنيفي روايات واسيني الأعرج، ص 254.

[3] ينظر: مصطفى الكيلاني، الرواية و التأويل، أزمنة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص14.

خطاب له سياقه و محيطه الخاص الذي جعل منه خطابا تاريخيا نظرا للصيرورة الزمنية.[1]

أعطى الناقد بيار باربريس (BierreBerberis) للتاريخ ثلاثة معان:[2]

- التاريخ كواقع و مسار و صيرورة موضوعية، ما يجري في المجتمع من أحداث و تطورات و صراعات منفصلة عن الذات و النظرة الفردية.
- التاريخ كخطاب و نوع معرفي يأخذ التاريخ كموضوع علمي، و بحثي و يعطيه وجود عبر إجراءات خطابية و مفهومية.
- التاريخ كحكاية أو قصة أوأقاويل أو حكي أو سرد أدبي، ما يقصه الأدب ويصوره النص، و تقيمه مادة تشكيل أدبي تملك بعدها التاريخي.

هذا التعريف الأخير جمع جميع مفاهيم التاريخ و صور تجلياته فهو واقع و خطاب و حكاية و بما أنه حكاية فله طابع فني و هذا ما يؤكد ارتباطه بالرواية.

3/علاقة الرواية بالتاريخ:

مما لا شك فيه أن للرواية ارتباط بالتاريخ، فهي تعيد كتابة التاريخ على ضوء السرد الروائي أي التاريخ من طبيعته أن يستنطق الماضي أما الرواية فتسائل الحاضر وينتهيان معا إلى عبرة و حكاية كما ذهب إلى ذلك فيصل دراج في كتابه (الرواية و

---

[1] سليمة عذراوي، الرواية و التاريخ، ص 160.

[2] جوادي هنية، التمثيل السردي للتاريخ الوطني في روايات واسيني الأعرج، ص 255.

تأويل التاريخ) و العلاقة بينهما تستدعي عدة أسئلة[1]أهمها: ما إذا كانت الرواية هي نفسها التاريخ؟

لقد لجأت الرواية إلى التاريخ لتعطي لسردها ووقائعها الروائية مصداقية تاريخية، و مع ذلك فهي بتناولها لهذه الأحداث، تعيد النظر في كثير من الأحداث و المسلمات التاريخية فتعيد صياغتها، و بذلك تشكل الرواية قطيعة فنية مع التاريخ و إن انطلقت منه، فتغدو الرواية لصيقة بالذاكرة ما دامت الذاكرة حاضرة في النص كمنطلق، من حيث هي خزانة لمادة الرواية المسرودة، خزان أبدي ثابت يحتفظ بكل ما جمعناه من الذاكرة الشعبية في ذاكرة النص.[2]

كانت الرواية و هي تستلهم التاريخ واعية بالحدود اللامنتناهية للإستثمار و عملت على الاستفادة مما يتيحه لها بناؤها و تركيبها في مجاراة التاريخ، دون الخضوع لقانونه الجامد أو السقوط في مجرد تكرار أحداثه و استنساخ وقائعه، بل إن الفترة العصبية التي يعيشها المجتمع العربي بعد أن أوقفته إمكانية المقارنة على الهوة السحيقة التي تفصله عن العالم المتقدم، جعلت الرواية تنخرط في الهم التاريخي في محاولة اكتشاف عناصر السلب الكثيرة، تلك التي تحول على الدوام دون وقوف العالم العربي على رجليه.[3]

---

[2]المويقن مصطفى، تشكل المكونات الروائية، ص 96.

[3] عبد السلام أقلمون، الرواية و التاريخ، ص 116.115.

إذن الرواية ليست تاريخا لأن التاريخ جامد ذو أحداث متكررة، أما الرواية فمتجددة بل أنها تستنبط منه الأحداث و تصوغها بطرق مختلفة.

تتحرك الرواية في منطقة وعي مدرك لطبيعة العلاقة بين الروائي و التاريخي عاملة على تمتيع التاريخ بمزايا الكتابة الروائية و الإسهام في تنشيطه إبداعيا، و هي تحرص على أن لا تصادر أي صوت كيفما كان نوعه، بل تهيئ له مقامات التلفظ و تسمح له بإسماع رنينه وسط هدير لغوي صاخب بأنواع الخطابات و عديد اللغات.[1]

كما يشير منير صاغة أيضا إلى دور الأديب في استحضاره للمادة التاريخية يقول: "على الأديب أن يستدرك قصور المؤرخ".[2]أي الأديب ينبغي عليه إكمال نقائص المؤرخ و إتمام ما لهي عنه و سقط ليوصل الفكرة كاملة دون نقصان.

المؤرخ يرى ما يريد غيره أن يرى، و الأديب ما ترجمه التاريخ في وقائع تذهب إلى العين و العقل دون خصام.[3]

يذهب الروائي إلى وثائق المؤرخ المتعددة و يخلقها شخصيات متحاورة تنقض أحادية القول التاريخي بأقوال متعددة مراجعها التأمل و الإحتمال، و علم التاريخ يحدث

---

[1]عبد السلام أقلمون، الرواية والتاريخ، ص 227.

[2]فيصل دراج، الرواية و تأويل التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004، ص261.

[3]المرجع نفسه، ص 262.

غالبا على طريقته كما كان، و الرواية تحدث عما كان و عما يجب أن يكون محررة الماضي من قيود قراءة وحيدة، وعاطفة مبادئ الأخلاق على المعارف الواضحة و الغائمة.[1]

الأديب يراعي أذواق الآخرين واهتماماتهم عكس المؤرخ الذي هو مقيد بأحداث معينة لا ينحو عنها.

و من هذا كله نصل إلى تعريف الرواية التاريخية التي تعدد معرفوها فكل يعرفها استنادا إلى أحكام ما و من هنا يمكن أن نورد التعريفات الآتية:[2]

- لوكاتشLokach:"(...) إنها رواية تثير الحاضر و يعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم بالذات".
- بيكر Bakor يرى أن الرواية التاريخية هي تلك الرواية التي تتناول عادات بعض الناس مكتوبة بلغة حديثة.
- أمابيوكنBuchan فيقول أن الرواية التاريخية هي كل رواية تحاول تركيب الحياة في فترة من فترات التاريخ.
- ستوداردStoddard يذهبإلىأن الرواية التاريخية تمثل سجلا لحياة الأشخاصأو لعواطفهم تحت بعض الظروف التاريخية.

---

[1] فيصل دراج،الرواية وتأويل التاريخ، ص 267.

[2] المرجع نفسه، ص 263.

- من جهة أخرى يرى محمد نجيب أنها عادة بناء خيالي للماضي تتناول أساسا حياة جمع من الناس و عاداتهم و تقاليدهم.

اتفق الباحثون في الرواية التاريخية على أنها تحكي عن فترة زمنية ماضية، و لكن في وقتنا الحاضر.

لقد تمت ولادة القصة التاريخية في مطلع القرن 19، و ذلك بعد قليل من سقوط نابليون، ظهر ذلك بقصة (واترلو Waterllo) لوالترسكوت Walter scott1814.[1]

لكي تكسب الرواية التاريخية هذه التسمية استندت على شروط أهمها:[2]

- ✓ أن تحكي على فترة من التاريخ مؤرخة تكون مادتها.
- ✓ أن تستند عليها في عملها.
- ✓ الروائي يجب أن يصوغ هذه المادة صياغة روائية فنية.
- ✓ أن يربط الروائي الفترة المؤرخة بالحاضر.
- ✓ الروائي يعيد كتابة المادة من منطلق وجهات نظر تخصه.

نخلص إلى أن الرواية التاريخية هي خطاب أدبي يشتغل على خطاب تاريخي موثق انشغالين:[3]

---

[1] نواف أبو ساري، الرواية التاريخية، بهاء الدين للنشر و التوزيع، قسنطينة، (د.ط)، 2003، ص25.

[2] ينظر: نضال الشمالي، الرواية و التاريخ، جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط1، 2006، ص 117.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 117.

أولهما: هو انشغال أفقي وفيه يعاد كتابته روائيا على أساس معطيات حاضرة لا تتناقض مع المعطيات الأساسية للخطاب التاريخي.

أما ثانيها: فهو انشغال عمودي و فيه يحاول المؤلف إكمال المشهد التاريخي تفسيرا أو تعليلا أو تصحيحا لغايات متعددة.

و مما لا شك فيه أن المؤرخ و الروائي يلتقيان معا في إخضاع العالم للوعي بتمعين (من المعنى) الوجود، إذ يهتم المؤرخ عادة بالشعوب و الثقافات و الذهنيات في حين ينصرف اهتمام الروائي إلىالأفراد. على هذا الأساس يمكن التمييز بين تاريخ عام هو التاريخ شائع التسمية و تاريخ خاص و هو "تاريخ الرواية" و "رواية التاريخ".[1]

هذا يعني أن عملي كل من الروائي و المؤرخ مكملان لبعضهما فالمؤرخ أولى اهتمامه بالعام قبل الخاص و الروائي اهتم بالخاص قبل العام، و هذا ما ينتج لنا رواية تاريخية متكاملة الجوانب.

4/حضور التاريخ في الرواية العربية:

لقد كان للتاريخ حضور بارز في الرواية العربية و هذا راجع إلىأنها كانت متأثرة في بدايتها بالثورات و الحروب، فلم تخرج عن جدلية التاريخ و الواقع المعيشي، فلا تكاد

---

[1] مصطفى الكيلاني، الرواية و التأويل، ص 17.

تجد روائيا عربيا لم يظهر التاريخ في إحدى رواياته سواء أكان ذلك عن قصد أو بدون قصد.

إن الرواية العربية في طور نشأتهاالأولى تعد وليدا شرعيا للتاريخ، إذ لم تكن لديها مادة تستقي منها أحداث سردها إلاهو.[1]

و قد ارتأيت أن آتي بهذه الأمثلة من الروايات التاريخية، رغم أنه لا سبيل لحصرها في عنصر واحد:[2]

الروائي	عنوان الرواية	السنة	الأصل
جورجي زيدان	فتاة القيروان	1912	مصري أصلهلبناني
نجيب محفوظ	القاهرة الجديدة	1945	مصر
بشير خريف	الدقلة في عراجينها	1969	تونس
بن هدوقة	ريح الجنوب	1970	الجزائر
الطاهر وطار	اللاز	1974	الجزائر
جمال الغيطاني	وقائع حارة الزعفراني	1976	مصر
مرزاق بقطاش	طيور في الظهيرة	1976	الجزائر

[1] حليمة بولحية، تجلي التاريخ في الرواية الجزائرية، ص 130.

[2] سمر روحي الفيصل، الرواية العربية و مصادرها، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، (د.ط)، 2009، ص 175.196. 208. 210 . 249.

الياس خوري	أبواب المدينة	1981	لبنان
نبيل سليمان	مدارات الشرق	1990-1993	سورية
إبراهيم الكوني	المجوس	1991	ليبيا
واسيني الأعرج	ذاكرة الماء	1996	الجزائر
أحلام مستغانمي	فوضى الحواس	1998	الجزائر
محمد مرتاض[*]	وادي الأسرار		الجزائر

[*]من مواليد 1941/02/18 بمسيردة-تلمسان- تحصل على دكتوراه دولة في الأدب المغربي القديم سنة 1994 من جامعة تلمسان و أصبح أستاذا بها. ينظر: محمد بن اسماعيلي، أعلام وأمجاد في آفاق الثقافة الجزائرية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د.ط)، 2013، ص241.

الفصل الأول:

تجليات التاريخ في الرواية

1.الأحداث.

2.الزمن و المكان .

3. الشخصيات .

أ. **الأحداث:**

الأحداث هي المحرك الأساسي للشخصيات و المفعل للحبكة و الحل، فبدون أحداث تكون الشخصيات جامدة دون حراك، فبالأحداث تكون الرواية أولا تكون و بالنسبة للرواية موضوع الدراسة، فإن ما يميز أحداثها هو سمة التوتر، و الاضطراب، و قد تجلى ذلك في كيفية استرجاع السارد للأحداث و تبليغها و لسبر ذلك و ظفنا الأحداث بمجرياتها في الجدول:

الأحداث حسب الترتيب الزمني:

ترتيب الحدث	الحدث	الوقفة	الصفحة
الحدث 01	إنشاء خطي شال و موريس من طرف العدو	الأولى	10
الحدث 02	التفكير في شق المغارة من طرف عبد الغني و استشارة الرفقاء	الثانية	18
الحدث 03	الاستئذان من رئيس الناحية في شق المغارة	الثالثة	21
الحدث	زيارة رئيس الناحية للكتيبة و معاينة الفكرة و المكان	الثالثة	23

04			
الحدث 05	مفاتحة الجنود بالفكرة	الخامسة	40
الحدث 06	البداية في الأشغال (حفر المغارة)	السادسة	44
الحدث 07	تقييم أوضاع التقدم في العمل بعد نصف عام	السابعة	58
الحدث 08	إرهاق و إصابة معظم الجنود فى شق المغارة	الثامنة	59
الحدث 09	إسقاط الطائرة الحاملة للقذائف التابعة لثكنة البياضة	الثامنة	63
الحدث 10	قرار إرسال تعزيزات و عبد الغني رئيس الكتيبة على رأسإحدى البعوث	التاسعة	66
الحدث 11	اختراق الميلود (أحد الثوار) للأسلاك الشائكة و الشك في أمره	التاسعة	68
الحدث 12	رواية الميلود لكيفية قضائه لسنواته الثلاث التي غاب فيها عن الأنظار	العاشرة	73

الحدث 13	وصول قرار بتحرك عبد الغني و من اختارهم	الحادية عشر	80
الحدث 14	ليلة الرحيل يستشهد الأخضر بلغم متفجر عند مرافقته لعبد الغني و أصحابه	الحادية عشر	83
الحدث 15	تعيين سليمان خليفة لعبد الغني	الثانية عشر	85
الحدث 16	غرابة تصرفات سليمان و أمر رابح بالاستغناء عن حراسة الحدود	الثانية عشر	89
الحدث 17	خيانة سليمان لأصحابه و الإفصاح بسرهم للعدو	الرابعة عشر	107
الحدث 18	هدم عساكر العدو للمغارة	الرابعة عشر	108
الحدث 19	انتقام المجاهدين من العدو بتفجرهم بالألغام عند منطقة المغارة و طريق الدبابات	الرابعة عشر	113
الحدث 20	تنكيل العدو بسليمان لظنهم أنه يتلاعب بهم	الخامس عشر	114

إن الحدث الروائي يعتبر العمود الفقري إن صح التعبير للرواية و تجدر الإشارة إلى أن:<< الحدث الروائي ليس كالحدث الواقعي الذي يجري حياتنا اليومية بالرغم من أنه يستمد أفكاره من الواقع>>.[1]

و أحداث الرواية تبدأ بالتوتر عند إنشاء الخطين المكهربين ثم تنحو منحنى الاضطراب و الهدوء نوعا ما عند شق المغارة و أخرا تنتهي بالثبات عند الانتقام من العدو بعد أن وصلت أوج اضطرابها عند اكتشاف العدو للمغارة بسبب الخيانة .

ب.<u>الزمن و المكان:</u>

أولا: الزمن

مهما حاولنا تجنب الزمن فإننا لا نستطيع لأننا ببساطة نعيش وسطه ، و هو في الرواية الهيكل الذي يقوم عليه البناء الروائي إذ لا رواية من غير زمن غير أنهيتفرع إلى زمن خاص بالمغامرة، و زمن خاص بالكتابة، و زمن متعلق بالقراءة[2].و من جهة أخرى يرى لوكاتش بأن الزمن هو عملية انحطاط متواصلة و شاشة تقف بين الإنسان و المطلق، و مثل جميع مكونات البنية الروائية لديه فإن الزمنية هي أيضا ذات طبيعة ديناميكية، فهي سلبية و ايجابية معا، أما رولان بارت(...)

---

[1] آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية و التطبيق، دار الحوار للنشر، ط1، سوريا، 1997، ص 27.

[2] ينظر: ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد انطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 1982، ص101.

فيرى أن أزمنة الأفعال في شكلها الوجودي و التجريبي لا تؤدي معنى الزمن المعبر عنه في النص، و إنما غايتها تكييف الواقع و تجميعه بواسطة الربط المنطقي.[1]

تدوروف من جهته يرى أن الزمن قضية ما تنفك تطرح فهي عبارة عن مقولة و مظهر و خصيصة مميزة للأخبار، التي من شأنها تنقلنا من الخطاب للتخييل.[2]

و حسب فيسنجر للزمن أهمية كبيرة في العمل الروائي، و يذهب إلى اعتباره :<< العنصر الأساسي لوجود العالم التخييلي نفسه، و لذلك كانت له الأسبقية في الأدب على الفضاء الروائي>>.[3]

كما أشار هنري جيمس إلى صعوبة تناول عنصر الزمن و أهميته في البناء الروائي فهو يرى:<<أن الجانب الذي يستدعي أكبر قدر من عناية الروائي–الجانب الأكثر صعوبة– هو كيفية تجسيد الإحساس بالديمومة و بالزوال و بتراكم الزمن>>.[4]

ينبغي في الرواية أن نميز بين ثلاثة أزمنة هي: زمن القراءة، و زمن الكتابة و زمن القصة.[5]فزمن القراءةهو الزمن الذي يستغرقه القارئ في قراءة الرواية، أما زمن

---

[1]نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، ص152.151.

[2]سعاد عون، شعرية السرد في قصص غادة السمان " المجموعة القصصية القمر المربع أنموذجا"، دراسة سيميوتأويلية، إشراف السعيد جاب الله، شهادة دكتوراه العلوم في الأدب، جامعة باتنة، 2014/2013، ص 209، 210.

[3]حسب بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص 20.

[4]سيزاقاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط1، 1984، ص26.

[5]أ.أمندلاو، الزمن و الرواية، مراجعة: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1997، ص77.

الكتابة فهم المدة المستغرقة في كتابة الرواية. أما زمن القصة أو الزمن القصصي و هو ما يعنينا، فهو زمن وقوع أحداث الرواية و تتابعها، أو تداخلها وفق الخط الزمني التخييلي للرواية.[1]

و من خلال تقنيات الاسترجاع و الاستباق و تسريع السرد و تعطيل السرد سنحاول فهم الزمن في رواية وادي الأسرار:

1. الاسترجاع:

الاسترجاع أو السرد الاستذكاري في أبسط تعريف له هو : <<أن يترك الراوي مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية و يرويها في لحظة لاحقة>>.[2]

و الاسترجاع يقسم إلى أقسام ثلاثة: [3]

أ. استرجاع خارجي: يعود إلى ما قبل الرواية أي قبل لحظة بداية الأحداث.

ب. استرجاع داخلي: يعود إلى ماض لاحق على بداية أحداث الرواية و قد تأخر تقديمه أو عرضه في السرد.

---

[1] عبد الله إبراهيم، المتخيل السردي- مقاربات نقدية في التناص و الرؤى و الدلالة-، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص 108.

[2] عبد الرحمان محمد محمود الجبوري، بناء الرواية عند حسن مطلك-دراسة دلالية-، المكتب الجامعي الحديث، العراق، (د،ط)، 2012، ص30.

[3] المرجع نفسه، ص31.

ج. استرجاع مزجي: و هو يجمع بين النوعين السابقين.

أول مقطع استرجاعي في الوقفة الأولى، و هذا الاسترجاع ليقدم لنا الأحداث و يجعلنا نفهم من أين بدأت فهو يرينا سبب إقامة خطي شارل و موريس(هذه السخرية و هذا الاستهتار افرح المرتزقة، و بعث فيها دما جديدا (...)، جند لذلك أصحاب المحتشدات و المعتقلات من المدنيين (...) أطنان من الاسمنت ملأت الحفر، سدت الفجوات، و متنت الأخشاب... ملايين الأمتار من الأسلاك الشائكة (...) غدت غولا مخيفا مرعبا لا يقوى على مجابهته إلا من ودع الحياة مطمئنا وأقبل على الموت يطلبه راضيا...).[1]

أبناء الوطن لم يستسلموا بل استبسلوا وتكاثفوا للقضاء عليه و لم ييأسوا رغم ضعف العتاد (ظلوا يتقدمون بأعداد هائلة و في نفوسهم الاستبدال و التحدي و التضحية النادرة، و في كل مرة كانوا يخترقون فيها هذه الحواجز الرهيبة كان العدو يبحث عن التضييق أكثر (...) و بدا فعلا أن الآمر غدا عسيرا(...) هذا ما جعل المجاهدين أنفسهم يفكرون في طرائق أخرى).[2]

استرجع القائد عثمان كارثة جبل " عصفور" و حذر المجاهدين من إعادتها و نبه عليهم أن الاحتياط واجب (ألا تخشون أن تكون زرعت ألغاما و تلاصقت

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار (رواية)، دار هومة، الجزائر، (د،ط)، 2013، ص10.

[2] المصدر نفسه، ص11.

شعراتها(...) فلا تكشف إلا بعد حدوث الكارثة مثلما وقع في جبل عصفور منذ شهر)[1]

(قمنا ليلة السادس من أكتوبر بوضع لغم يزن قنطار في الطريق الذي يربط مركز المالحة بالمراكز الأخرى... و في الساعة التاسعة صباحا شاهدنا المصفحة تتطاير قطعها و تترامى أشلاؤها في الجو مثل ريش بغاث الطير أصابه نسر كاسر).[2]

هذا وصف رابح، لانفجار اللغم الذي أتى على المصفحة أثارإعجابفحفظه عن ظهر قلب.

عمي الصالح عند حديثه ذكره بالمعارك التي كان فيها شجاعا مستبسلا:

(و هل تحسبني نسيت معركة " فلاوسن" أو كمين " مجيعة" أو هجوم

"عجرود"؟...لقد شهد كل من حضر هذه المعارك أنك أسد هصور...).[3]و من جانب آخر الأخوات المجاهدات تذكرن صورة استشهاد المجاهد الشاب في حزن (صورة المجاهد الشاب مصطفى لا تفارق مخيلتي... ليس لأنه استشهد، فهذا شيء مشرف و لكن الطريقة البشعة التي قتل بها...).[4]

---

[1]محمد مرتاض،وادي الأسرار، ص24.

[2] المصدر نفسه، ص 25.

[3]المصدر نفسه، ص32.

[4]المصدر نفسه، ص50.

(كان ذلك منذ ثلاث سنين خلت).[1]هذا في سياق حديث الميلود مع عبد الغني عندما كانا يتذكران قبل أن يختفي الميلود.

القائد عثمان عندما طمأن و هدأ نفوس المجاهدين بعد أن كشف سرهم الكبير و ذكرهم برسول الله (تذكرو أن بعض الصحابةارتد وفر إلى صفوف أعداء النبي محمد).[2]

هذه كلها استرجاعات خارجية، أما الداخلية فهي الآتية:

تطوع محمد الكاتب بحمل جثة الشهيد وهنا عبد الغني يسترجع الحدث ليخبر عثمان (لقد تطوع من تلقاء نفسه بعد رجوعنا أمس من المعركة الشرسة التي استمرت أكثر من أربع ساعات).[3]

عبد الحكيم يشيد بما صنعوه في العدو و يقر بالأثر الذي تركوه(... كان أكثر ما أصابهم بالغصص تفجير ثكنة عجرود، تهشيم المصفحات، تخريب عدة أمتار من الأسلاك).[4]

---

[1]محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص69.

[2]المصدر نفسه، ص109.

[3]المصدر نفسه، ص25

[4]المصدر نفسه، ص 36.

كان المجاهدون دقيقين في أوقات الخروج و الدخول ذهابا و إيابا إلى المغارة لحفر جزء منها، فقد كان يبدأ من العاشرة إلى الثالثة(استغرق العمل بضع ساعات، من العاشرة ليلا إلى الثالثة صباحا...).[1] هذا ما أفادنا بها الراوي.

و سرد لنا أيضا كيفية حراسة رابح و كيف أنه يتابع تحركات الطائرة بدقة حتى ضبط موعد ذهابها و مجيئها (تصل كل يوم التاسعة إلا ربع صباحا، و قد تتقدم أوتتأخر عن هذا التوقيت بدقيقتين أو ثلاث ليس أكثر ...لمدة شهر لاحقها مراقبا موعدها...).[2]

كانت صاعقة تنزل على جنود كتيبة عبد الغني عندما وصل قرار نقله إلى القلعة الغربية(عبد الغني يترك الكتيبة بعد آنألفوه و استأنسوا بأبوته لهم منذ أكثر منسنة).[3]

عبد الغني كان يحث الجنود على إكمال ما بدؤوه دائما يحفزهم و يرفع معنوياتهم

(بل إني أحثكم على متابعة العمل الذي ابتدأناه معا منذ بضة أشهر).[4]

الجنود أنفسهم قسموا المهام بينهم فكل منوط بعمل ما (هم يكدون الليل في حفر المغارة حتى الثانية أو الثالثة صباحا، و فيهم من يقضي الليل منبطحا فوق برك من

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص 46.

[2] المصدر نفسه، ص 62.

[3] المصدر نفسه، ص 66.

[4] المصدر نفسه، ص81.

الماء بجانب خطوط الأسلاك، منتظر قذف الدبابات التي قد لا تأتيأبدا...و منهم من يمضي الليل بعين ساهرة تحت أديم السماء... و منهم ...و منهم...).[1]

هذا استرجاع سليمان لأدوار المجاهدين محدثا رابح و مقللا من شان مهامه رغم أن تقاريره التي كان يرسلها للناحية كل أسبوع كان لها الأثر، و هذا ما جعل عثمان يفتقدها حين انقطعت عنه (تقارير رابح كانت تسجل كل صغير و كبيرة ألفت القيادة العليا أن تعيش أحداث الجهة بوساطتها كل أسبوع).[2]الاسترجاع نال حصة الأسد في الرواية فقد استحوذ على معظم وقفاتها.

2. <u>الاستباق:</u>

الاستباق أو السرد الإستشرافي هو: كل حركة سردية تقوم على رواية أحداثأو حدث لاحق، آو ذكره مقدما، أو تقديم الأحداث اللاحقة أو المستقبلية قبل وقوعها.[3]

إذا كان الاسترجاع أخذ مكانته في الرواية فان الاستباق اقل حظا منه فقد ظهر في مواضيع محددة سنحاول طرحها فيما يلي:

أول مقطع استباقي ظهر في رسالة عبد الغني لعثمان يخبره عما عزم القيام به، (لقد عزمنا على شق مغارة يكون مبتدؤها وادي كيس، و منتهاها مركز البياضة).[1]

---

[1]محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص89.

[2]المصدر نفسه، ص91.

[3]عبد الرحمان محمد محمود الجبوري، بناء الرواية عند حسن مطلك، ص41.

القائد عرف المشروع لجنوده و طرح عليهم كيفية العمل(...هذا القرار الذي اتخذته يقضي بتفرغ كتيبتكم للعمل الليلي الخفي، على حين إن الكتيبتين الأخريين التابعتين للناحية الأولى تظلان في العمل العسكري كما كانتا...).[2]

تلقى رابح اعتراضات من ضباط الكتيبة لا لأنهم لا يحبون رأيه بل لأنهم يحبذون العمل المسلح لكن رابح عرف كيف يطمئنهم و ييسر الأمر في أنظارهم (... و لكن العمل الذي نسعى إليه مؤقت لا موقوت... فإن هي إلا تسعة أشهرأو بعض عام، و نعود إلى المعارك الحربية).[3]

و لمنح العضوية للعمل في هذه المغارة لابد من شروط وضحها عبد الغني (... الاستعداد البدني و الاستعداد النفسي.... الإقبال على العمل بالليل فقط...التهيؤ لكل طارئ قد يحدث في أثناء الحفر...عدم التفكير في مغادرة هذه الكتيبة إلى كتيبة أخرى قبل أن ينتهي المشروع...).[4]

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص31.

[2] المصدر نفسه، ص39.

[3] المصدر نفسه، ص41.

[4] المصدر نفسه، ص43.

و لما جاء اليوم الموعود جمعهم قائدهم و أعطاهمخطة العمل (ابتداء من اليوم، ستتناولون عشاءكم قبل دلوك الشمس...نؤدي صلاة المغرب و العشاء جمعا ثم ننطلق إلى هذه الشرسة).[1]

بعد أن كشف العدو سر المجاهدين و هدموا تعب سنتين، أبيالمجاهدون إلاأنيأخذوابثأرهم لذلك أمر احمد رابح بـ (نصب لغمين على ظهر المغارة حيث كانوا محتشدين، بل محتفلين...عبد الرحمان انطلق خفية إلى طريق الشاحنات و المصفحات و انصب لها لغمين أيضا ...أماالبقية (...) فيساعدونكم على حملها و إيصالها، أما نحن فنقيكم أي شر محتمل).[2]

3. <u>تسريع السرد:</u>

و يقوم تسريع السرد على تقنيتين هما: [3]

أ. التلخيص: و هو تقديم فترة زمنية طويلة من حياة الشخصيات و الأحداث الماضية بصورة سريعة و مختصرة، أي الاستعراض السريع لفترة من الماضي، و هي تقنية زمنية تتسع فيها وحدة القصة على حساب زمن الكتابة أو المساحة النصية.

---

[1]محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص44.

[2]المصدر نفسه، ص111.

[3]عبد الرحمان محمد محمود الجبوري، بناء الرواية عند حسن مطلك، ص44.

ب. الحذف: أو الثغرة الزمنية، أوالإسقاط كما يصطلح عليه البعض و هو تقنية زمنية تقضي بحذفأوإسقاط فترة زمنية طويلة أو قصيرة من زمن القصة، و عدم التطرق لما جرى فيها من أحداث.

يطل التلخيص في الرواية باستحياء بمقطع واحد(الأيام تتوالى ولكن لا تتشابه، فالثورة اتسعت رقعتها، و بدا واضحا أن القيادة العليا تفكر في جزائر المستقبل و ذلك بإيفادها بعوثا عسكرية إلى الخارج ليكونوا أطرا غدا....و قد راج في الوكالات الإعلاميةأن العدو رضخ لإقامة جمهورية و الاعتراف باستقلال الجزائر و حريتها).[1]فهنا تلخيص لأيام عديدة تضمنت أفكار كثيرة و هذا لتسريع السرد و الوصول إلى الحدث الأكثرأهمية.أما الحذف فقد نال نصيبا أوفر من التلخيص و لو أنه محتشم أيضا، فنجد الحذف المعلن في المقطع الآتي(بعد بضعة أيام من الشروع في هذه العملية، أقبل عثمان لتفقد الكتيبة يروم اختبارها..).[2]

أما المقطع الثاني (الأيام تمر، يأتي النبأ الذي كان يتوقعه عبد الغني...).[3]

أي حذف لأيام الروتين فيها نفسه لنصل إلى الخبر المهم.الراوي عاش مع الجنود المجاهدين حرقتهم بانكشاف سرهم و رغبتهم في الانتقام و انتظارهم المتعطش فأتى

---

[1]محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص65.

[2]المصدر نفسه، ص52.

[3]المصدر نفسه، ص80.

بهذا المقطع من الحذف (الساعات تمضي بسرعة، و منتصف النهار يدنو ليؤكد مرور الزمن بصورة غريبة...).[1]

4. تعطيل السرد:

تعطيل السرد هي الحركة المضادة لتسريعالسرد وهي:إبطالأو تعطيل وتيرة السرد عبر التركيز على ابرز تقنيتين تقومان بذلك و هما: تقنيتي المشهد و الوقفة الوصفية، أما في الرواية فنجد الوقفة الوصفية و هي تعليق مجرى القصة لحساب المساحة النصية.[2]

هناك العديد من الوقفات الوصفية ارتأيتأن اختار منها مايلي:

(كان القمر يرسل أشعته الفضية على القصب فيتجاوب معه بلعان أوراقه، و كان النسيم الرطب كلما داعبه و مسح على جبينه استجاب له بخشخشة و حفيف (...) و كانت شلالات الوادي لا تتوقف عن الجريان، و لا تفتر عن التصريح بصوتها الهادر و تتعانق و تتقاطع محدثة صخبا و هديرا).[3] هنا وصف للجو المحيط بالمجاهدين أثناء البدء بعملية حفر المغارة .و أيضا وقفة وصفية لحقيبة محمد(.. ديوانه الخاص مضغوط في حقيبة جلدية كبيرة الحجم تشتمل على ثلاث جيوب كبيرة و اثنين صغيرين، و لها حمالتان جانبيان يضعهما على منكبيه (...)، و بداخل

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص110.

[2] عبد الرحمان محمد محمود الجبوري، بناء الرواية عند حسن مطلك، ص50.49.

[3] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص46.45.

الحقيبة كان يقبع سجل يضم بين دفتيه قائمة المجاهدين التابعين للكتيبة الأولى...).[1]

و تعطيلا للسرد و صف الروائي الشمعة و هي تحترق في المخبأ (الشمعة تعاني في التغلب على دمعاتها، و الفتيلة تصاب، باختناق من جراء تجرعها كل ذلك الشراب فتترنح يمنة و يسرة محاولة الانفلات من الاحتضار...).[2]

هذا الوصف يجعلك تحس بالسكينة و الهدوء.

ثانيا: المكان

لابد لأحداث الرواية أن تقع في مكان ما، فلا رواية دون مكان، إذ " يحتفي جنس الرواية بالمكان أكثر من احتفائه بالزمان خلافا للشعر، غير أن المكانية الروائية وجه للاشتراك بين افتراض الإحالة على المكان الحسي و بين الانزياح عن الظاهر الحسي إلى مجال التخييل، و دلالة الرمز باعتبار المكان الروائي مجموع ظواهر تتناظم بأشكال و وظائف و صور ودلالات متغيرة تشبه عند تواصلها العلاقات المكانية المعتادة".[3]و من جهة أخرى يأخذ المكان دلالته التاريخية و السياسية من

---

[1]محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص53.

[2]المصدر نفسه، ص72.

[3] مصطفى الكيلاني، الرواية و التأويل، ص51.

خلال الأفعال و تشابك العلاقات، فإنه يتخذ قيمته الحقيقية من خلال علاقته بالشخصية عامة.[1]

أي أن للمكان ارتباطاته فهو ليس كمكان جامد فحسب فهو مرتبط بالشخصيات و بالأحداث والعلاقة بينهم و هذا ما يجعله عنصر فعال في الرواية.

و هذا بداية ما ذهب إليه جاستون باشلار بأن المكان يحمل معنى الانتماء فإنه الموضع الذي ينسبه الإنسانإلى نفسه و ينتسب إليه، فالمكان بجانب، خصائصه الطبيعية و الجغرافية كالمسافة و التضاريس و المناخ نجد طابعه الرمزي المميز له، الذي يعمل على تنشيط التعبيرات الرمزية عن الذات و عن ذكريات هذه الذات و طموحاتها و خيالاتها.[2]

و أيضا الرواية تزيد من أهمية المكان ف<< المكان في العمل الفني شخصية متماسكة و مسافة مقاسة بالكلمات، و رواية لأمور غائرة في الذات الاجتماعية، و لذا لا يصبح غطاءا خارجيا أو شيئا ثانويا، بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متداخلا بالعمل الفني>>.[3]

---

[1] محمد البارودي، الرواية العربية و الحداثة، ص233.

[2] غادة الإمام، جاستون باشلار جماليات الصورة، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص291.

[3] ياسين النصير، الرواية و المكان (دراسة المكان الروائي)، دار نينوي، سورية، دمشق، (د، ط)، 2010، ص70.

بالإضافة إلى أن المكان يسم الأشخاص و الأحداث الروائية في العمق.[1]

وقبل البدء في تحليل المكان في الرواية نسير إلى أنهاجاءت موزعة في قسمين رئيسيين:

أ. الأماكن المفتوحة ب. الأماكن المغلقة

و نظرا لغلبة الأماكن المفتوحة سننطلق منها في دراسة المكان الروائي

أ. الأماكن المفتوحة: وهي الأماكن التي لا تحدها حدود.

1. القرية :

إذا كانت الرواية الغربية قد اهتمت بالفضاء المدني منذ بداية نشأتها فان الرواية العربية الحديثة صبت اهتمامها على القرية و جعلتها مسرحا لأحداثها و بخاصة في النصوص الروائية الأولىك "زينب" لهيكل[2]، و بالنسبة للرواية موضوع الدراسة اتخذ محمد مرتاض من القرية مكانا للأحداث و حركة الشخصيات فجاء بمنطقة "بوحفاظ" في مسيردة وما جاورها إذ أنه من سكان هذه المنطقةلذا هو يعلم بخباياها (كم هي مغلة أرضنا...حرقها الاستعمار(...) بددت معالم الخرق لتطل بلقاح جديد محمل

---

[1] غالب هلس، المكان في الرواية العربية (عن كتاب الرواية العربية واقع و آفاق)، دار بن رشد للطباعة و النشر، ط1، بيروت، ص111.

[2] ينظر: عبد الرحمان محمد محمود الجبوري، بناء الرواية عند حسن مطلك، ص65.

بفسائل لا تحصى، (...) بعد اخضرار نباتاتها من جديد متعانقة الأغصان، كثيفة الورقات، ناضجة الثمرات...).[1]

ذكر أماكن القرية الخاصة و الإيمان الخاص بها من قبل السكان (ألم تخبرها والدتها يوما أن أضرحة القرية يسكنها أولياء صالحون، وأنهم ينجدون أهاليهم...).[2]

كما وصف نهار القرية الذي يضج بحركة الرعاة و المزارعين (البستاني يغرس، و الراعي يهش على غنمه للوصول بها إلى المرعى، و النساء حاملات جرارهن للسقي...).[3]

الراوي جاء على ذكر قرية "مجيعة' وما طالها من خراب، و هي قريته التي ترك فيها أهله، أخبره صديقه الآتي من هناك بما جرى لها (..التهديم الذي طال المنازل و البيوتات، و الإحراق الذي شمل البساتين و الحقول و حتى الشجيرات(...)، إذاأخبرتك بان قرية " مجيعة" كانت مستهدفة أيضا).[4]

و صف ليل الشتاء في الريف (... الحيوانات تتسارع متسابقة إلى اصطبلاتها و حظائرها، و النيران تؤجج في المواقد لوظيفة مزدوجة: التدفئة و طهي الطعام، و

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص23.

[2] المصدر نفسه، ص48.

[3] المصدر نفسه، ص63.

[4] المصدر ، ص76.

إعداد الشاي و القهوة...).[1] من هنا ندرك أن للقرية مكانة لا بأس بها في الرواية لكن النصيب الأوفر للوادي.

2. الوادي:

لا يتأتى لنا من الاستغراب موضع عندما يأخذ مكان مفتوح مثل الوادي اهتماما خاصا من قبل الراوي، فالوادي هي مرتع الصبا و الذكريات، المنقوشة في الذاكرة (أنت لست إلا واديا تحمل اسمك كما تحمل مختلف الأوديةأسماءها... سموك(وادي كيس)...امتلأت جنباتك و حواشيك و ضفافك بساتين نضيرة، و أشجارا مثمرة من الرمان و المشمش و الخوخ و التين...).[2] النباتات و الأشجار التي ذكرها و لا موطن لها إلا الوادي و هو يصف الوادي بتمعن (...محفوف بأشجار الدفلى الرائعة المنظر، العبقة العطر، الجميلة الشكل، و محمية بأشجار العوسج و مزينة بحقول من القصب مترامية على الأطراف و الحواشي...).[3]

(الوادي لا يزال خرير مياهه منسابا هامسا في الربيع و الصيف، و مهولا مزمجرا، يتحول إلى سيول جارفة و شلالات هادرة في الخريف و الشتاء...).[4]

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص97.

[2] المصدر نفسه، ص08.

[3] المصدر نفسه، ص28.

[4] المصدر نفسه، ص115.

الكاتب يحاول أن يرينا أن للوادي قوة جبارة و هدوءا صامتا فهو يحمل قوتين متناقضتين.

3. الجبل:

بما أن هناك وادي، فلابد من وجود جبل و جبال لان منبع الوادي من الجبل، كما أتى الراوي على ذكر أسماء عدة: (جبل " عصفور") [1]، (جبل " الناطور")، (جبل " زندل")[2]، (جبال بن سنوس و جبال الناطور، و جبال امجاجو...، جبل " امزوج").[3] و هي أماكنأتى على ذكر نباتات نجدها في الوادي (نباتات "ميرمان") و (افليو)...أنها نباتات معطرة تعبق الجو بأريجها، و تحث هممنا كلما لمسناها...).[4]

هذه هي أبرز الأماكن المفتوحة المذكورة في الرواية، إضافة إلى النهاد و النجود و الربى... و هي تتدرج بدورها تحت الأماكن السابقة، و قد عبرت عن رغبة السارد و باقي الشخصيات في التحرر و الانعتاق من أجواء الاستعمار الخانقة.

ب. الأماكن المغلقة:وهي الأماكن المحددة بحدود.

1. المغارة:

---

[1]محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص24.

[2]المصدر نفسه، ص71.

[3]المصدر نفسه، ص82، 83.

[4] المصدر نفسه، ص24.

هي رمز للنضال و الكفاح و رمز للتضامن و السرية (القرار المتخذ بكل بساطة يتجلى في قيام كتيبتها بشق مغارة...).[1]

كما قام السارد بوصف حال من يعلمون داخلها (المغارة هذه مخيفة ...رائحة العرق و التعب تنبعث منها..الاختناق يكاد يصيب كل العاملين داخلها ...ضيق التنفس يغزوهم، هذا حال من هم في المغارة).[2]

فالمغارة مكان جوهري في الرواية يعبر عن الصمود، و يعبر عمقها عن الأسرارأي عن ضرورة إحاطةالأعمال الثورية الخالدة بالسرية التامة .

2. الكوخ:

الكوخ وعاء شعبي يحتوي تراكيب اجتماعية لها قيمة جمالية في الرواية، و هو دليل على بساطة العيش[3]، و قد جاء الراوي على ذكره مرتبطا بالمجاهدات الثلاث،لأنهن صاحبات المسكن(....تذكر كوخ الأخوات الثلاث....ألفى رابحة في انتظاره على العتبة).[4]

و الكوخ يعكس الطابع الريفي القروي الذي جرت فيه الأحداث، و يعبر عن النية الاجتماعية للمجتمع الجزائري في فترة الخمسينات.

---

[1]محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص40.

[2]المصدر نفسه، ص51، 52.

[3]ياسين النصير، الرواية و المكان، ص86.

[4]محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص 106.

3. المضجع:

هنا ذكر كل مضجع رابحة، و المضجع يأويإليهالإنسان في آخر النهار أو في أوقات الراحة، و هو رمز للهدوء و السكينة، لكن هنا رابحة مضجعها أصبح يؤرقها و لم يعد مأوى للسكينة (انتفضت من مضجعها، ثم ما لبثت أن عادت إليه).[1]

4. البئر:

وظيفة البئر الأساسية هي الحصول على الماء و لكن يمكن أن يحمل دلالات أخرى، كما نجد هنا البئر دال على ذكريات بالإضافةإلى وظيفته الأساسية فهمنا الأخضر يتحرق شوقا لتقبيل كل جزء من قريته، و جاء على ذكر البئر و مائها (... لا سيما بئر " بَرْدْيلْ" المعروف عنها غدق مذاقها).[2]

وقع على هذه الأماكن المغلقة دون غيرها اعتقادا منا بأهميتها في بناء الحدث و الشخصية، لكن حرى بنا أن نشير إلى وجود أماكنأخرى (مغلقة)، غير مؤثرة في الرواية لا يتسع مجال البحث لذكرها.

ج. **<u>الشخصيات:</u>**تكتسي دراسة الشخصية في أي عمل روائي أهمية بالغة، إذ لا يمكن تخيل أي عمل أدبي لا وجود للشخصية فيه.

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص48.

[2] المصدر نفسه، ص83.

فـ" الشخصية هي القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي، و هي عموده الفقري الذي ترتكز عليه".[1]

فالروائي عندما يهم بكتابة رواية أول ما يخطر على باله الشخصيات، لأن الشخصية << ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا ديناميكية الحياة و تفاعلاتها، فالشخصية من المقومات الرئيسية للرواية و بدون الشخصية لا وجود للرواية>>[2].

و نجد أن كل الدارسين اعترفوا بأهمية الشخصية في العمل الروائي، إذأن جورج لوكاتش ينظر للشخصية على أنه << لا غنى لكل عمل أدبي كبير عن عرضه أشخاصه في تضافر شامل لعلاقات بعضهم مع بعض و مع وجودهم الاجتماعي>>.[3]

---

[1] جميلة قيسمون، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الانسانية، جامعة منتوري قسنطينة، ع13، جوان2013، ص195.

[2] عامر غرايبية، الشخصية الروائية و وظيفتها انواعها و سماتها، الاردن، (د.ط)، 2005، ص04.

[3] جودي حماش، بناء الشخصية في حكاية عبد و الجماجم و الجبل لمصطفى فاسي(مقاربات في السرديات)، منشورات الأوراس، الجزائر، 2007، (د،ط)، ص56.

و يذهب الناقد إليوت (T.ilyot) إلى أن: << الشخصية هي التنظيم الديناميكي، في داخل الفرد لتلك التكوينات أوالأجهزة النفسية الحسية التي تحدد طريقته لتتكيف مع البيئة>>.[1]

في حين يرى ، فلادمير بروب (Vladimir propp)، أن الشخصية عبرا مستقلا بذاته، و هذا ما أثاره في كتابه (مرفولوجية الخرافة)، الذي درس فيه الخرافة الشعبية، وتحدث عن وظيفة الشخصية " بأنها قيمة ثابتة".[2]

أما توماتشفكي فقد استغنى عن الشخصية خاصة ما يتعلق بالبطل و قلة فعاليته في المتن الحكائي الذي يمثل مجموعة الحوافز، فالبطل عنده يقتصر دوره في الربط بين هذه الحوافز.[3]

و من جهة أخرى يعد فيليب هامون (Philippe hamon) من أهم المنظرين السيميائين الذين أولوا اهتماما خاصا بهذا المكون الروائي، فكانت مقاربته خلاصة لجميع البحوث البنيوية و السيميائية التي تطرقت إلى هذا العنصر بالدرس و التحليل، و لما وفرته من وسائل إجرائية و خطوات منهجية دقيقة.

---

[1] ينظر: حسن الأشلم، الشخصية الروائية عند خليفة حسن مصطفى، مجلس الثقافة العلم، القاهرة، (د،ط)، 2006، ص 38، 39، 40.

[2] ينظر: فلاديمير بروب، مرفولوجية الخرافة، تر: ابراهيم الخطيب، الشركة المغاربية للناشرين المتحدين، الدار البيضاء، ط1، 1996، ص34.

[3] ينظر: العلمي مسعودي، الفضاء المتخيل و التاريخ في رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج، (دراسة بنيوية)، إشراف: دجلولي العيد، مذكرة ماجستير في الأدب الجزائري المعاصر، جامعة ورقلة، 2010، ص165.

و الشخصية في نظره ليست مقولة أدبية و لا معطى جماليا مؤسس سلفا، حددها وفق منطلقات لسانية بحتة، إذ يعتبرها علامة تتقاطع في أمور كثيرة مع العلامات اللسانية كونها دالا و مدلولا، و من ثم ينطبق عليها ما ينطبق على هذه الأخيرة، و سعى إلىإبراز وظيفتها و طريقة بنائها، و رصد العلاقات تعمل على تجلية مدلولها.[1]

و إذا ما عدنا إلى مدونة البحث فإننا نجد شخصياتها تتنوع على محورين اثنين، محور الشخصيات الرئيسية أو المحورية و محور الشخصيات الثانوية و هو ما سنحاول مقاربته في العنصر الموالي .

1. **الشخصية الرئيسية أو المحورية:** هي التي تقوم بدور أساسي وبارز في السرد وسير الأحداث و دفعها إلىالأمام.[2]

و يرى بعض الباحثين أن تحديد الشخصية المحورية يعتمد عل أساسين:

الأول: كمي يعتمد على كثافة ظهور الشخصية في السرد و الأحداث.

و الثاني:نوعي يعتمد على أهمية الدور الذي تقوم به الشخصية في بناء الحدث و تطوره.[1]

---

[1] ينظر: بشير عبد العالي، تحليل الخطاب السردي و الشعري،منشزرات مخبر عادات و أشكال التعبير الشعبي بالجزائر، دار الغرب للنشر و التوزيع، (د،ط)، ص53، 54.

[2] عبد الرحمان محمد محمود الجبوري، بناء الرواية عند حسن مطلك، ص91.

أ.الشخصيات الرئيسية الأساسية: و تتمثل في شخصيتين أساسيتين هما:

شخصية عبد الغني رئيس الكتيبة الأولى للناحية الأولى، وهو عصب الرواية و محركها، و هو رمز للكفاح و المثابرة و الروح الطيبة، و هو من منطقة (بوحفاظ).[*] من مسيردة(كأنك لا تعلم يا أخي اني من منطقة "بوحفاظ" و إني أعرف كل نواحي مسيردة، و لكن علمي بهذه الجهة أكثر و أعمق).[2]

عبد الغني هو نفسه محمد مرتاض الكاتب لأنهما من نفس المنطقة و يتحدث بلسانه، هو رئيس هادئ و معطاء متواضع حيث تظهر فيه علامات النيل عند اتخاذ القرارات فلايهدا له بال حتى يعرف ما رأي ضباطه و أتباعه، و هذا يظهر عندما قرار شق المغارة، فلم يتخذ قرارا حاسما بل شاورهم في الأمر (ابتسم عبد الغني في هدوء و أشارإلى الضباط الآخرين للإفصاح بما عندهم).[3]

مشاركة جنوده للعمل رغم مكانته و ترأسه عليهم (تقدم عبد الغني و الأخضر و ثبتا معوليها في أسفل الضفة الشرقية للوادي و هما منتشيان، ثم صار الجنود يتوافدون عليهما تباعا لمواصلة العمل).[4]

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص132.

[*] ناحية من نواحي مسيردة، محاذية للحدود المغربية الجزائرية، و هي منطقة غنية بمزروعاتها و حقولها الخصبة، و كانت منذ سنين ممولا كبيرا للمناطق المجاورة لها بقمحها اللين الصافي .

[2] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص23.

[3] المصدر نفسه، ص41.

[4]المصدر نفسه، ص45.

له مكانة كبيرة في نفوس جنوده، فعند قرار إرسال التعزيزات، و من ضمنها عبد الغني لم يستسيغوه (...ذاع الخبر، نزل على الجند كالصاعقة...عبد الغني يترك الكتيبة، بعد أن الفوه و استأنسو بأبوته لهم أكثر من سنة).[1]

هو رمز للصبر و التضحية و التجلد (عبد الغني كان و مايزال يعاني من آثار جراح في قدمه ناتج عن شظية مدفع من عيار 145، لكنه أبىأن يتطهر بالتراب أو الحجر...).[2]

أما الشخصية الثانية فهي رابح حارس الحدود و الخبير، بكل أسرار المنطقة و العليم بالبيئة الجغرافية من (عجرود) إلى (عصفور) و هو كما وصفه الكاتب(رجل مفتول العضلات طويل القامة، عزير الشاربين، عريض المنكبين).[3]

محافظ على عمله باستبسال، ويدل على ذلك اعتراف الميلود (كان هذا الجان- يقصد رابح- في انتظاري ليمسك بي عنوة و يشد وثاقي بحبل متين).[4]، و هذا عندما اخترق الأسلاك الشائكة فارا إلى بستان الوادي فأمسكه رابح .

---

[1]محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص66.

[2]المصدر نفسه، ص31.

[3] المصدر نفسه، ص38.

[4]المصدر نفسه، ص75.

حافظ لكتاب الله (القرآن الكريم): (لم يك في حاجة إلىأن يضم إلى هذه الصحف، المصحف الشريف باعتبار أنه كان يحمله في صدره، فهو نفسه مصحف لكنه متنقل).[1]

رابح معروف بروحه المرحة، و تعابيره الموزونة الدقيقة، قال في رده على رئيسه (عمر الشاقي باق، لقد عافني الحمام و نبذني المنون و كرهتني الألغام، و لكن هل من حقي أن أسألكما عن هذه الوقفة التأملية).[2] هذا جزء من مزاحه.تقاريره ليس بعدها زيادة (تقاريره تتسم بالحدية و الجدية و الغرابة أحيانا).[3]

مواظب على عمله لا تفوته فائتة (ظل رابح يراقب الطائرة الاستكشافية و يضبط ساعته اليدوية على ظهورها في الجو بهذه الجهة: تصل كل يوم التاسعة إلا ربع صباحا، و قد تتقدم أو تتأخر عن هذا التوقيت بدقيقتين أو ثلاث ليس أكثر...لمدة شهر لاحقها، مراقبا موعدها...).[4]

و على الرغم من أهمية الشخصيات المذكورة إلاأنها تبقى في أمس الحاجة إلى شخصيات أخرى تدعمها تتمثل في الشخصيات المساعدة الرئيسية.

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص53.

[2] المصدر نفسه، ص27.

[3] المصدر نفسه، ص24.

[4] المصدر نفسه، ص62.

ب. الشخصيات الرئيسية المساعدة:

نجد شخصيتين في الرواية، أما الشخصية الأولى فهي شخصية عثمان رئيس الناحية الأولى (بعد اطلاع رئيس المنطقة على فحوى الخطاب، فكر مليا و التزم الصمت مدة ثم رأى أن الجواب الخطي لا يغني، و أنه من الأفضلأن يتوجه بنفسه إلى عبد الغني كي يطلع على تفاصيل أكثر و يتدارس الأمر معه من مختلف جوانبه المحتملة...).[1]

فهو شخصية تتسم بالتواضع و التفكير في الآخرين (لا عليك يا عمي صالح...إني شخصيا الفت أنأشارك الجنود طعامهم و أصيب لقمتي في وسطهم، و لا آخذ شيئا أوأتناوله قبلهم، و لا أتنافس معهم في السبق، إلا في المعارك).[2]

و هي شخصية محافظة على أداء الصلوات رغم الظروف (في هذه الظروف الجوية، استيقظ القائدان مبكرين كدأبهما(...) و أديا صلاة الصبح جمعا).[3]

و هو تنشيط دؤوب في عمله، دائم المراقبة(بعد بضعة ايام من الشروع في هذه العملية، أقبل عثمان لتفقد الكتيبة يروم اختبارها).[4] يكن الجميع لهذه الشخصية كل الحب و الاحترام (توقفت الضربات السحرية التي كانت تتوالى في جمالية فاتنة و

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص22.

[2] المصدر نفسه، ص32.

[3] المصدر نفسه، ص31.

[4] المصدر نفسه، ص52.

أخرست الألسنة التي كانت تشجع و تتأثر و عثمان يلج المخبأ....و لى كل من كان بداخله و جهه نحوه، محيا إياه بالتحية العسكرية المألوفة، تأثر لهذه الطاعة و لهذا الانسجام، فسارع إلى رد التحية بأحسن منها ثم هشً و بشً في وجوههم).[1]

أما الشخصية الثانية فهي شخصية محمد كاتب الكتيبة(إنه شاب من فولاذ...حتى رئيس الأركان العامةأثنى على إنشائه، و شده أسلوبه الذي بالرغم من طابعه الواقعي فإنه لم يخل من سلاسة، مثلما قال و إن كنت لا افقه شيئا مما يرمى إليه...بيد أني أخشى أن يضمه إلى هيئة التحرير التابعة له، فنفقد شابا مجدا و متمرسا في كتابة مثل هذه التقارير).[2] يركز السارد في تقديمه لهذه الشخصية على سمات الرقة و التضحية (لقد تطوع من تلقاء نفسه بعد رجوعنا أمس من المعركة الشرسة (...) أبىإلا يقوم بنقل جثة الشهيد (سعيد) (...) سهر بنفسه على مواراته التراب و قراءة سورة (يس) على روحه الطاهرة و بقائه مدة إزاء ضريحه يناجيه).[3]

التواضع و عدم الترفع لكونه مثقفا دارسا فقد تطوع لحراسة المركز، و هذا ما لم يستسغه القائد (يجب أن يعفى من الحراسة فورا و بصورة نهائية، و ليترك لعمله الديواني...إن ثورتنا بحاجة إلى أمثاله من المثقفين).[4]

---

[1]محمد مرتاض، وادي الأسرار ، ص54.

[2]المصدر نفسه، ص26.

[3]المصدر نفسه، 26.

[4]المصدر نفسه، ص25.

تطوع هذه الشخصية الفذة لتعليم المجاهدين (عملت انه يدرس المجاهدين التاريخ و التربية الإسلامية و يؤمهم في الصلوات المكتوبة).[1] و يحاول أن يلقنهم مبادئ الإسلام السمحة و يزودهم بالقيم النبيلة و من سمات هذه الشخصية أيضا، الطيبة و كتمان الأسرار، فلم يجد الأخضر أحد يأتمنه على سره وسوى محمد (....و لم يكشف عنها إلا لكاتب الكتيبة محمد الذي كان يلغي في نفسه طيبة و يرى في صدره بئر لإخفاءأسراره).[2]

2. **الشخصية الثانوية:** و هي الشخصيات التي تكون أدوارها أقل أهمية و كثافة من الشخصيات المحورية.[3]

هناك ست شخصيات ثانوية أولهمالأخضر و هو أحد ضباط الكتيبة يعاني من فراق زوجه و طفليه (راح التفكير بالأخضر بعيدا وذاكرته تتسمر على زوجه الغضة الشباب التي ودعها (...) و هو يعدها بالأوبة القريبة و الظفر العاجل .... ادكر معها نجليه الحبيبين(...) كان يدخل يده في جيبه ليخرج منه الصورة ...كم ضبط و هو يحدق إليها فيسارع إلىإخفائها مجددا).[4]، و تمتاز هذه الشخصية بالقوة و

---

[1]محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص26.

[2]المصدر نفسه، ص37.

[3]عبد الرحمان محمد محمود الجبوري، بناء الرواية، ص108.

[4]محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص37.

الصلابة (ظل الأخضر هو ومجموعة صغيرة معه مواظبين على عملهم لا يثنيهم صقيع و لا يعيقهم صيب).[1]

توفي الأخضر بلغم ليلة كان ينقب الطريق لعبد الغني و رفقائه ليرحلوا و قد ترك فراغا رهيبا وراءه (كان القدر في انتظاره...لم بشعر إخوانهإلا و سنا لغم يضئ المكان قبل أن يحدث دويا رهيبا تناثرت وسط لهيبه أشلاء هذا الرجل المبتسم أبدا رغم الإحن و المحن...كانت ليلة تعيسة لا تنسى...).[2]

ثانيهم عمر أحد ضباط الكتيبة، هو بين الضباط الذين يستشيرهم القائد في أمور الكتيبة (نادي الأخضر و عمر احمد ليستشيرهم في الأمر، بل ليستشيرهم بآرائهم في كيفية الظفر بمبتغاه و ما عزم عليه).[3]، ومن صفات هذه الشخصية الاتزان و التوسط في الرأي فقد أجاب بإجابة لا معارضة و لا مؤيدة عندما سأله القائد عن رأيه (... رأيي هو رأي الأخضر، و لكن الأمر الذي عزمتم على تنفيذه هو أيضا موصل إلى سبيل نجاح الثورة....ثم إن الجهاد أنماط بلا ريب).[4]

---

[1]محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص60.

[2]المصدر نفسه، ص83.

[3]المصدر نفسه، ص16.

[4]المصدر نفسه، ص41.

أما أحمد و هوأيضا أحد ضباط الكتيبة، تأثر بفقدان صديقه الأخضر (...بعد أن فقد أكبر مؤازر له ومواس و هو الأخضرأو شك الشؤم أن يصيبه في شق هذه المغارة.[1]

رمز للمرحو الفكاهة (كان علي و احمد يرقصان على هذه الأنغام رقصة "لعلاوي" الشهيرة في الناحية الغربية).[2]

و هناك أيضا شخصية العباس و هو رمز السرعة و الأمانة، لأنه يوصل الرسائل بين الكتيبة و الناحية التابعة لها (سلم محمد الرسالة إلىالعباس الذي دأب على تأدية هذه الخدمة بصورة سريعة....ربط سيول حذائه بصلابة و متانة، ثم راح يشق وعور الجبال و يتزحلق مع منحدرات الشعاب و الأودية).[3]

وأيضا شخصية سليمان خليفة عبد الغني الشخصية السلبية منذ قدومه، و هو يتكبر على الجنود و يتظاهر بمعرفة كل شيء (سليمان من النوع الذي يدخل انفه في كل شيء، وهو من الصنف الذي يحاول التظاهر دائما بمظهر المتبصر الواعي بالفتيل و القطمير..).[4]

---

[1]محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص.99.

[2] المصدر نفسه، ص52.

[3]المصدر نفسه، ص22.

[4]المصدر نفسه، ص 87.

مهمته التفرقة بين المجاهدين (راح يحكم قبضته الحديدية، يتوعد هذا و يهدد ذاك...يتدخل في التفاهات التي لا تخصه محاولا أن يفرق بين المرء و أخيه و كاد ينجح في رسالته).[1]

أنه رمز شفيف للخيانة، خان أبناء وطنه حين فضح سرهم للعدو.

سادسهم صالح الذي صار طاهي القهوة بعد أنأصيب في أحد المعارك (كان صالح قد أجج التنور من نحو ساعتين، ووضع فوقه قدرا ملئي بالماء و تركه يسخن في تصاعد بخاره، و إيذانا بوضع البن فيه...).[2]

و هذه الشخصية بما هو فيه و يأمل في العودة إلى المعارك (أمنيتيأنأشارك في المعركة، بل في المعارك من جديد، أودأنأذوب هذا الجليد الذي يكتنف جسمي... أريدأن أعبق خيشمي بروائح البارود).[3]

و قد أصيب في معارك عدة و له عدة أعطاب في جسمه لكنه غير راض بها و رغما عنها يريد مواصلة الكفاح بالسلاح (أما الصحة فلن اكتسبها، لأني كما ترى نحيف قصير منذ أن ولدت، و أما الجرح فقد الفته، إني وإياه صنوان، أن ابتعدت أنا عنه سارع هو بالدنو مني ...رصاصة في الرأس يقال إنها لن تخرج أبداأو ستخرج

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص89.

[2] المصدر نفسه، ص31.

[3] المصدر نفسه، ص33.

بعد عشرين سنة ...السبابة فقدتها في أحد الهجومات و استعضتها بالوسطى للإجهاز على الأعداء...).[1]

الشخصيات الثانوية المساعدة: و هي اقل أهمية و حضور من الشخصيات الأخرى.[2]لدينا في الرواية تسع شخصيات و هي:

- عبد الحكيم:جندي من الكتيبة، كان يحب الحق و لا يسكت عن رأيه حتى لقائد الكتيبة (كان من الصنف، الذي لا يقوى على الصمت إزاء الحق، لذا رفع سبابته فأذن له بالحديث فقال: انأأربأن كل ما قمنا به من عمليات كان له الأثر على نفوس أعدائنا بصورة أوبأخرى).[3]
- الأخوات المجاهدات:رابحة، الصافية، فاتحة، اشتركن في محنة واحد و هي غياب أزواجهن عنهن لخدمة الوطن، فأبين هن إلاأن يخدمن الثورة في المجاهدين (غسيل الثياب.... التزويد بالطعام....إيصال البريد إلى مسافات بعيدة...معالجة المرضى بمختلف النباتات الطبية...سقي الماء...).[4]
- المغنوي و عبد السلام: جنديان في كتيبة عبد الغني، يتسمان بالبسالة و الشجاعة في الكفاح ففي أحد الخرجات (المغنوي يغلف نفسه بنباتات...و

---

[1]محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص33.

[2]عبد الرحمان محمد محمود الجبوري، بناء الرواية عند حسن مطلك، ص111.

[3] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص36.

[4]المصدر نفسه،ص42.

أذناه منتصبتان متصنتتان على أي هفهفة أو حركة في حين اختفى زميله عبد السلام بين أغصان شجرة و عيناه صوب الضفة الشرقية).[1]

إضافةإلى الشخصيات المذكورة هناك شخصيتا:

- علي و سعيد تابعان للكتيبة و الفوج المغنوي و عبد السلام، وأيضا شخصية باديس الممرض المتفاني في عمله المتقن له، فكان إلى جانب المجاهدين في حفرهم للمغامرة(باديس يرتب الأدوية التي تصلح لرق الدم كالحق و الضمادات و الكحول و السائل الأحمر، و القطن أو التي تصلح لإجلاء الم الرأس و صداعه كالأقراصأو المراهم..).[2]

الشخصيات الثانوية العرضية : و هي الشخصيات التييأتي ذكرها عرضا و لمرة واحدة في الرواية.[3]

هناك العديد من الشخصيات العرضية في الرواية منها:

- سعيد الشهيد الذي حمله محمد على ظهره إلى المخبأ.

---

[1]محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص46.

[2]المصدر نفسه، ص54.

[3]عبد الرحمان محمد محمود الجبوري، بناء الرواية عند حسن مطلك، ص113.

- عبد اللطيف الجندي الذي عوقب لأنه لم يحكم رباط الترنبيط (ألم يحاسب عبد اللطيف على إخفاقه في إتلاف السلك الشائك و تفتيته لأنه لم يحكم رباط " الترنبيط" بعضه ببعض جيد؟....).[1]
- عبد الرحمان الجندي الذي كان يعزف على ناي القصب.
- الطبيب سعيد الذي استدعاه المجاهدون عندما استعسرت عليهم بعض الحالات.
- الحسين الجندي الذي أسقط طائرة العدو بعد تعقبها من طرف رابح.
- الميلود الغائب منذ ثلاث سنوات، و العائد باختراقه للأسلاك الشائكة
- مصطفى الشهيد الشاب الذي استشهد بطريقة بشعة.
- زوجة الأخضر التي نكل بها لحد الجنون (علقوها عارية أمام ناظري شقيقها " العربي " (...) سجنوها اغرقوا مكان حجزها ماء ملوثا و رغوة صابون من الفضلات إمعانا في التنكيل بها ... ظلت على هذه الحالة أسابيع و هي حبيسة هذا القبو المخيف (...) ادخلوا عليها الحركي (امْحمدً) كي يقنعها بالكشف عما تخبئه...).[2]
- العربي " شقيق زوجة الأخضر.
- الحركي امحمد.

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص35.

[2] المصدر نفسه، ص78.

هناك الكثير من الشخصيات العرضية في الرواية لكن اقتصر تناولنا لأكثرها فاعلية في الرواية.

الفصل الثانـي:

جماليات التاريخ في الرواية

1- اللغة السردية واللغة التاريخية.

2- المكان التاريخي والمتخيل الروائي.

3-شعرية الزمن التاريخي.

1/اللغة السردية واللغة التاريخية

أ-مفهوم اللغة: اللغة هي التفكير وهي التخيل، بل لعلها المعرفة نفسها بل هي الحياة نفسها إذ لا يعقل أن يفكر المرء خارج إطار اللغة، فهو لا يفكر إذن إلا داخلها أو بواسطتها فهي التي تتيح له أي يعبر عن أفكاره فيبلغ مافي نفسه، ويعبر عن عواطفه فيكشف عما فيقلبه...الحب دون لغة يكون بهيميا، والإنسان دون لغة يستحيل إلى لاكائن..إلى لاشيء.[1]

يذهب باختين إلى أن:«اللغة في كيانها الملموس الحي وليس اللغة بوصفها مادة نوعية خاصة بعلم اللغة».[2]

أما محمد نضار في روايته تجليات الروح وجد أن اللغة تشكل السمات الخاصة للخطاب الروائي وتولد قيمته الجمالية حيث «تعد العنصر الفعال في بناء الرواية، وتشكيل عالمها الفني التخييلي إلى جانب العناصر البنائية الأخرى التي يتكون منها العمل الأدبي من شخوص، فضاء، وبنية زمنية ورؤية سردية وأحداث».[3]

---

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 93.

[2] م باختين، شعرية دوستويفسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، دار توبقال، ط1، 1986، ص 265.

[3] ينظر: بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية، المغربية للنشر والإشهار، تونس، ط1، 2003، ص 149.

ومن جهة أخرى فـ «أسلوب الرواية هو تجميع الأساليب ولغتها هي نسق من اللغات».[1]

وهذه أهم مفاهيم اللغة التي أتى بها النقاد والمنظرون، واتفقوا على أنه بدون لغة لا وجود للحياة لا في رواية ولا في الواقع.

أ- اللغة السردية:

لغة السرد لغة واعية "محايدة" تنحو إلى التصوير "المحايد" وهي ملازمة للمشاهد البصرية: تصوير حركة الشخوص، وعناصر الفضاء والزمان.[2]

إن لغة الرواية هي لغة فنية ذات دلالات إيحائية جمالية، وتتشكل دلالاتها ضمن بنية النص الروائي الداخلية، والسياق الخارجي، أي المرجعية الإجتماعية، فالتواصل ليس غايتها الوحيدة. وهذا رفض لفكرة الإنحياز اللغوي بل نحاول التركيز على العلاقات الصراعية وبثها في خيالنا لإعطاء اللغة مكانتها الأدبية،ومنها يكون تصادم اللغات وتفاعلها متوترين وقويين بكيفية خاصة، حيث يحاصر التعدد اللغوي اللغة الأدبية من كل جانب، إذ تعمل اللغات على تشويه صفاء اللغة الأدبية، ويقصد بهذا أن اللغة العربية تدخل عليها الأجنبية والعامية ، وغير ذلك...

---

[1] ينظر: إدريس قصوري، أسلوبية "مقاربة أسلوبية لرواية" زقاق المدق" لنجيب محفوظ، عالم الكتب الحديث، الأردن،(ط1)، 2008،ص 408.

[2] المويقن مصطفى، تشكل المكونات الروائية، ص 208.

أما اللغة العامية فهي لغة تمتاز بالمرونة والسهولة، وفهي من إنشاء العامة،تلك الطبقة البسيطة التي لا يشترط فيها مستوى تعليميا(...) بل العامية هي قبل كل شيء اللغة الأم التي يتعلمها المرء في مراحله الأولى بعد ولادته، فهو يتلقنها من الوالدين ومن الإخوة ومن الجدين –إن وجدا– ومن المجتمع عامة.[1]

ونجدها في الرواية: اسبايسية

اعرايشية.[2]

وهما كلمتان استخدمتا في رقصة شعبية.

وأيضا (احلفت والله ما انْدير الحنة حتى أتجي عندي الحرية).[3]

ج– اللغة التاريخية:

إن اللغة التاريخية، وبحكم كونها تحمل منظوراً أدبيا وإيديولوجيا متعدد الأشكال، نجدها تحوي في طياتها صيغة سلطوية، باعتبارها تتحدث عنا هو رسمي وتؤرخ له،

---

[1] سهام مادن، الفصحى والعامية وعلاقتهما في استعمالات الناطقين الجزائريين، كنوز الحكمة، الجزائر، (د.ط)، 2011، ص 35.

[2] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص 53.

[3] المصدر نفسه، ص 79.

وقلما تهتم بالهامش كما هو الشأن في الخطاب التخييلي (...) نرى في هذه اللغة هيمنة الصوت الأحادي، أي إن صوت المؤرخ مهيمن على خطابه.[1]

تتخلل اللغة السردية للرواية اللغة التاريخية؛ فكيف يكون ذلك؟

تتجلى اللغة التاريخية في الرواية في عدة أشكال وهي:

- الرسائل: ونجد رسالة واحدة في الرواية أرسلها القائد عبد الغني إلى الرئيس عثمان يستأذنه فيها بشق المغارة، ولهذه الرسالة ديباجية أتى بها الكاتب كما هي وموضوعها يبدأ (لقد عزمنا على شق مغارة (...) من غير أن نفقد من صفوفنا جنديا واحدا).[2] وانتهى بتوقيع اسمه.

وهذه الرسالة تعتبر تناصا تاريخيا فالكاتب هنا تناص مع التاريخ في إيراده للرسالة في روايته. فما التناص إلا «توظيف النصوص اللاحقة لبنيات نصوص أصلية سابقة».[3]أي أن الكاتب أتى برسالة من ذلك الزمن ليوظفها في الرواية.

الخطب:هناك عدة خطب في الرواية لكن أوردنا منها مايلي كنموذج:خطاب عبد الغني الذي ألقاه على جنود كتيبته ليشرح لهم فكرته: (أنتم تعلمون أنه قد حيل بيننا

---

[1]المريقن مصطفي، تشكل المكونات الروائية، ص 206.

[2]محمد مرتاض،وادي الأسرار، ص 22.21.

[3] سعيد سلام، التناص التراثي (الرواية الجزائرية أنموذجا)، عالم الكتب الحديث، أربد،الأدرن، ط1، 2010، ص 43.

وبين إخواننا في مناطق فلاوسن وعصفور وتيرني وسائر المناطق الأخرى(...) أشيروا عليّ أيها الناس.. هل ترون ما أرى أم...؟).[1]

بالإضافة إلى خطاب كل من عبد الغني وعثمان الذي يتمحور حول وضع إستراتيجية جديدة لإبادة هذا العدو وأسلحته الفتاكة. فكانت الإفتتاحية:

(بسم الله الرحمان الرّحيم)

إخواتي...

الجلسة مفتوحة بإسم جبهة وجيش التحرير الوطني.. أما موضوع هذا الإجتماع وتفاصيله فأتركها للأخ عثمان رئيس المنظمة الذي أرحب به أصالة عن نفسي ونيابة عنكم).[2]

كما نشير إلى خطاب عثمان في جنود الكتيبة لغرض تعزيز قوتهم ورفع معنوياتهم (... ثورتنا ثورة التحدي، ثورة الغضب المجتث للجوروالإضطهاد...لقد أخذنا عهدا على أنفسنا أن نرفع الظلم عن شعبنا، فأين ذلكم مما إلتزمنا به؟... اليوم شعبنا في عذاب(...) ولكن أبصركم بخطورة الوضع الذي آل إليه مصير ثورتنا).[3]

هذه أهم الخطب المدرجة في الرواية وليست كلها.

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص 19.

[2] المصدر نفسه، ص 34.

[3] المصدر نفسه، ص 37.

- الحوار:

فالحوار أداة فنية لإبراز الحقائق و توليدها، و تقديمها في إطار وجهات النظرالمتعددة.[1] الرواية غنية بالحوارات التاريخية منها : الحوار الذي دار بين رابح رجل الإتصالات و عبد الغني .

(–ما وراءك ؟

- حدث حركة تنقل في مركز البياضة ... غادرته شاحنتان متخمتان بالجنود و وصلت إليه في اللحظة نفسها أربع شاحنات حوامل بطونها .
- يعني هذا العدو يضاعف من تعزيزاته لهذه المراكز ، ولكنه شيء يثلج الصدر مع ذلك ... ! .
- (. . .) .[2]

و نجد أيضا الحوار الذي جمع بين عبد الغني و جنوده الذين أمروا بالتوقف عن العمل في المغارة للجهد الذي لحق بهم :

- يبدو أن بعضكم يفكر في تغيير الجو. !

أجابوا في شبه صوت واحد.

---

[1]حسن عليان ، تعدد الأصوات و الأقنعة في الرواية العربية ، مجلة جامعة دمشق ، مج 24 ، ع 1+2 ، 2008 ، ص 168 .

[2]محمد مرتاض، وادي الأسرار،ص 15 .

- أجل أيها القائد .
- و ماذا تفعلون بالقانون الداخلي لكتيبتنا ؟ .

أناب عنهم أحدهم ليجيب :

- و هل يخشى علينا من إفشاء السر؟.. إننا نعاهد الله و نعاهدك على ذلك .
- (...) . [1]

إضافة للحوارات المذكورة هناك أيضا الحوار الذي بين عثمان و رابح؛

وفيه يؤنب عثمان رابح على ما بدر منه من تقصير دون علم له بالأسباب :

(–تحفظ القانون الداخلي لجيش التحرير جيدا ...أقصد ... المادة العاشرة منه .

- أجل ، أيها القائد ... أعلم ذلك . !
- لماذا رفضت الإستمرار في مهمتك إذا، و أنت تعلم أن خططنا الحربية تستهدي بكثير من ملاحظاتكم و توقعاتكم ... (...)). [2]

تعج الرواية بالحوارات التاريخية التي جاءت لتعبر عن روح الجماعة التي تتميز بها الجماعة الثورية التي تحرك أحداث الرواية، إلا أننا انتقينا منها هذه النماذج لأن المجال لا يسمح لإيرادها جميعا .

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص60 .

[2] المصدر نفسه، ص 93 .

- الألفاظ :

وظفت الرواية في سياق اهتمامها بالتاريخ بعض الألفاظ و العبارات التي تدل على التاريخ، نأتي على ذكر بعض منها:

- ✓ المجاهدون و المستعمرون: (انهال عليها المجاهدون فأتلفوها، ألح المستعمرون على التثبيت، تهاون المجاهدون قليلا فيإبادتها و تفجيرها ...).[1]
- ✓ خطا شال و موريس ((...) خط شال؟ خط موريس ... من هو شال، و من هو موريس؟... ضابطان مجرمان عدوان (...)).[2]
- ✓ الجنود، الجيش: ((...) كل ما هناك أن اضطرار العدو إلى الإستنجاد بأعداد كبيرة لحشدها على الحدود و يخفف الوطء على رفاقنا في جيش الجزائر...).[3]
- ✓ ألغام : (ألا تخشون أن تكون زرعت ألغاما مبيدة).[4]
- ✓ الدبابات : (أو مندسون بين خطوط الأسلاك ، في أعماق الدبابات).[5]

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص 09.

[2] المصدر نفسه، ص 11.

[3] المصدر نفسه ، ص 15 .

[4] المصدر نفسه، ص 24.

[5] المصدر نفسه، ص 24 .

- ✓ الضابط : (و هو الضابط الحقيقي في واقع الأمر، لأننا جميعا نلتف حوله ونعود إليه في بعض القضايا.)[1]
- ✓ المدفع : (عبد الغني كان ما يزال يعاني من آثار جراح في قدمه ناتج عن شظية مدفع من عيار 145 (...)).[2]
- ✓ معركة : (هل تحسبني نسيت معركة " فلاوسن "، أو كمين " مجيعة " أو هجوم " عجرود " ؟ ...).[3]
- ✓ الرشاشات، الرصاص: (هل تظنون أنني أقل اشتياقا منكم إلى معانقة الرشاشات و زغاريد الرصاص ؟!).[4]
- ✓ الكتيبة : (كان يعامل الكتيبة على أنها تابعة لجيش رسمي ، متأثرا في ذلك بالفترة التي قضاها في جيش فرنسا إختياريا...).[5]

تتسلل اللغة التاريخية إلى مقاطع السرد و الوصف و الحوار لتضفي بعدا تاريخيا على لغة الرواية.

2- **المكان التاريخي و المتخيل الروائي** :

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص 26.

[2] المصدر نفسه، ص 31.

[3] المصدر نفسه، ص 32.

[4] المصدر نفسه، ص 41 .

[5] المصدر نفسه، ص 86.

كانت الرواية تستقي مادتها من التاريخ عن طريق تدوين الحوادث و الوقائع بثبات شديد، لكن الرواية الجديدة ارتضت تحويل هذا المنظور الواقعي إلى منظور إبداعي تخضع فيه المادة المحكية (تاريخيا) إلى الرغبة الفنية أي الإنتقال من المجتمع الواقعي إلى المجتمع الورقي بأحداث و وقائع و أمكنة تاريخية تخييلية.

نجد "غاستون باشلار " يوضح الفكرة أكثر حينما يقول: « إن المكان الذي ينجذب نحو الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا مباليا ذا أبعاد هندسية فحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تمييز، إننا ننجذب نحوه لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم بالجماعة في كمال الصورة، لا تكون العلاقات المتبادلة بين الخارج و الألفة متوازية».[1]ومن جهة أخرى صنف هلسا المكان في أربعة أنواع : المكان المجازي، المكان الهندسي، المكان كتجربة معاشة داخل العمل الروائي و أخيرا المكان المعادي، لكن بعض النقاد اعترضوا على هذه التقسيمات فرأوا أن المكان كله مجازي في الرواية.[2]

نخلص إلى أن المكان في الرواية تخييلي (مجازي) حتى و لو كان موجودا في الواقع ، لكن بدخوله عالم الرواية يصبح خياليا.

---

[1]الشريف خبيلة، مكونات الخطاب السردي (مفاهيم نظرية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، تبسة، الجزائر، ط1، 2011، ص 43.

[2]ينظر: محمد عزام ، شعرية الخطاب السردي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د ط)، 2005 ، ص 67 68.

يحضر الوادي في الرواية كمكان تاريخي، فهو مكان للثورة لقتل المغتصب ففيه تمت أغلب العمليات، مكان للسرية و الإختباء و المباغتة، و من الصور التي تمتزج فيها صورة الوادي بالمتخيل ما ورد على لسان السارد مناجيا هذا الوادي (أيها الوادي الحبيب: ماذا تخبئ داخل أحشائك ؟ و ما السر الذي تخفيه بين عدوتيك ؟... و ما سر سيلانك الدائب (...) و لماذا هذا الصخب المنبعث من سوائك ؟و ماهذا الصوت الممتلئ حسرة و ألما ؟!).[1]

و يأتي الوادي في بعض المقاطع السردية مكانا للحياة و الإخضرار و التجدد (كم هي مغلة أرضنا ! حرقها الإستعمار و حاول أن يصيرها جرداء محلة، لكنها سرعان ما مزقت غشاوة الخنق، و بددت معالم الخرق لتطل بلقاح جديد محمل بفسائل لا تحصى، (...) بعد اخضرار نباتاتها من جديد ! متعانقة الأغصان، كثيفة الورقات...).[2]

و يقدم الوادي رمزا للجمال الطبيعي الفتان (هو مكان مستو يقع بين منحدرين، و بكل منحدر شلالة تكون حربا على كل ما يتطاول على الدنو منها من بقاياالأخشاب

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص 08 .

[2] المصدر نفسه، ص 23 .

(...) فتتحول هباءا منثورا تطير النسائم بعيدا بله الرياح الغريبة التي ترغمها على الطيران في الفضاء بدون أجنحة...).[1]

هناك أيضا عدة أماكن تاريخية نذكر منها الثكنة و المراكز و بروج المراقبة، هذه المواضع أماكن للقتل، التعذيب و المراقبة، أماكن لتضييق الخناق على المجاهدين و الفدائيين (هذا الحشد الهائل من المراكز كانت تعززه البروج المحصنة مترامية هنا و هناك، لا تفصل بينهما إلا مسافة ضئيلة عنها (...) المصابيح الإستكشافية التي تؤلف حلقات دائرية ، لكنها تتراوح فيما بينها متعانقة بعضها مع البعض لتكشف فضاءا بعيدا تميز فيه النحلة من النملة أو تكاد...).[2]

لم تغفل الرواية أيضا ذكر القرية فقد رسمت لنا لوحة حية ناطقة عن صباح القرية، إذ أنها مكان الحياة، مكان العيش و الذكريات (الديـــكة تتصايح في الضفة الغربية من وادي كيس (...) إعلانا لحياة يوم جديد، و شروعا في البحث عن الطعام لقهر سلطان الجوع بعد ليل طويل شديد البرد ... و الطيور القليلة التي ما تبرح مقيمة بالجهة كأنما أحست بالتقصير(...) محلقة في الفضاء بحرية تغبط عليها، لأنها لا تحدها حدود، و لا تقيدها قيود و لا تحاصرها جمارك (...) و خيوط الفلق المطلة

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص 28 .

[2] المصدر نفسه، ص 14 .

من الشرق تمزق غشاوة جحافل الغرب ، ورذاذ المطر (...) و الفلاحون امتطوا دوابهم و أنعامهم في اتجاه حقولهم و مراعيهم أو إلى الأسواق...).[1]

هذه أهم الأماكن التاريخية التي وردت في الرواية و قد جاء حضورها متواشجا و التخييل الروائي من خلال ما أضفاه عليها السارد من أوصاف و نعوت.

3- شعرية الزمن التاريخي :

الرواية تاريخية في مضمونها و في محتواها و في أحداثها، هذا بالضرورة يجعل من زمنها تاريخيا.

فالـــــراوي ركز على دموية هذا الزمن فهو:

- زمن الموت،العنفوالإستعماروالدمار :

(أتلفتم أشجارنا(...) جففتم ينابيعنا، عثتم فسادا في أراضنا(...) إستعبدتم، ملكتم، قتلتم، شنقتم، جهلتم، جوعتم، دنستم، (...) عبثتم بالمقدسات...).[2]

(انظر أيها القائد، كم هي مغلة أرضنا !... حرقها الإستعمار و حاول أن يصيرها جراء محلة...).[3]

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص 103.

[2] المصدر نفسه، ص 07.06.

[3] المصدر نفسه، ص 23 .

تحدث الراوي في الرواية عن عنف الإستعمار و طغيانه و تجبره ، و تدميره لكل ما يأتي في طريقه ، تحدث عن الموت الذي كان يطال الجهتين (مجاهدين، استعمار)، فمعظم زمن الرواية يتحدث في هذا المجال .

- زمن التحدي و التضحية في سبيل الوطن:

(... الإختناق يكاد يصيب كل العاملين داخلها(...) هؤلاء أيضا قد تجمدت أرجلهم من صقيع الشتاء القارس، و تشققت شفاههم و أيديهم(...) لكنك لم سألتهم لطمأنوك بأنهم في عافية و قوة ، و أنهم لا يقدمون إلا أدنى ما يملكون لوطنهم).[1]

هذا رمز من رموز التحدي الجبار الذي مهما تحدثنا عنه فلن نوفيه حقه، فقد صورت الرواية أسمى صور التحدي.

أما عن التضحية فكل شخصيات الرواية ضحو في سبيل وطنهم فهذا الأخضر ترك زوجته الفتية وابنيه و لبى نداء الوطن، وهؤلاء المجاهدات المكافحات تركهن أزواجهن لأجل الوطن .

قال عثمان في أحد خطاباته : (... ثورتنا ثورة التحدي، ثورة الغضب المجتث للجور و الإضطهاد).[2]

(المجاهدون طينة واحدة هدفهم نشدان التضحية و أملهم الرغبة في الإستشهاد).[1]

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص 52 .

[2] المصدر نفسه، ص 37.

➢ زمن التوق إلى الحرية :

فكل المجاهدين يتوقون إلى الحرية، فهذا عثمان أخذ وعدا على نفسه بأن يكافئ الأخوات المجاهدات بعد نيل الحرية (و هو كذلك .... سنكافئهن حين تشرق الشمس، و يبزغ الصباح).[2]

و يوجد هناك أغنية شاعت بين الفتيات تتغنى بالحرية :

(أحلفت و الله ما نْدير الحنة حتى اتجيعندي الحرية).[3]

يتجلى لنا التوق إلى الحرية في هذا المقطع واضحا (... و أوشكت النساء الثلاث أن يطلق الزغاريد لتدوي في الفضاء، لولا أنهم على بينة من أن ذلك لن يسمح به إلا غداة بزوغ الفجر المنتظر، و يوم أن تعود الحمامة الغائبة.!).[4]

هذه أهم شواهد هذا الزمن، في الرواية، قد أخذ أبعاد شعرية لا يمكن الإلمام بها في هذه العجالة.

---

[1]محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص 67 .

[2]المصدر نفسه، ص 56.

[3]المصدر نفسه، ص 79.

[4]المصدر نفسه، ص 113.

➢ زمن الخيانة:

كل أزمنة الرواية تتماوج بين موت و تضحية و تحدي و مقاومة، إلا أن هذا لا يعني أن هذا الزمن مقدس و هذا لوجود شريحة تخون الوطن، فهذا سليمان القائد الجزائري عين خليفة لعبد الغني كل مجاهدين وضعوا أسرارهم عنده لم يخفوا عنه شيئا و في الأخير خان ثقتهم و ثقة وطنه و كل الجزائريين وارتد إلى صفوف العدو ووشى بالمجاهدين وعملهم بعد أن كانوا على مقربة بالفتك من العدو أضاع لهم جهود سنتين.

(..العواقب التي تنجم حتما عن هذا الفرار: جهود سنين تذهب سدى مع أدراج الرياح!).[1]

(كانت فاجعة مبكرة للكتيبة).[2]

(و ما إن أشرقت الشمس حتى أقبلت فرقة من جنود العدو إلى وادي الأسرار لتمزق غشاءه ، و إلى المخبأ الذي ظل زمنا حلما لعشرات الثوار لتدنس محرابه...).[3]

---

[1] محمد مرتاض، وادي الأسرار، ص 107.

[2] المصدر نفسه ، ص 107.

[3] المصدر نفسه، ص 108.

خـــاتمـــة

خاتمـــــــــــــــــــة:

خلص البحث إلى جملة من النتائج أهمها:

- أن رواية "وادي الأسرار" باعتبارها رواية معاصرة تمكنت من تجسيد أهم تقنيات الكتابة الحديثة التي ساهمت على انبعاث الفضاء بأشكال دلالية جديدة، فهي فضاء لتشكيل الذاكرة الجمعية للمجتمع الجزائري.
- تعود الرواية إلى التاريخ لربط الأجيال بماضيها فهي تؤدي بذلك رسالة نبيلة تعمق الإحساس بالأنا.
- رواية "وادي الأسرار" من الروايات التاريخية التي يلتقي فيها السرد الروائي بالسرد التاريخي؛ بحيث يبدو فيها التاريخ الواقعي شفافا خلف لعبة السرد.
- حاول محمد مرتاض أن يركب بين السرد التاريخي والتخييل السردي مع مراعاة متطلبات الفن الروائي، والحافظة على خصوصية التاريخي كمرجعية تجسد لنا الماضي في الحاضر.
- ما يميز عمل محمد مرتاض في هذه الرواية؛ هو اعتماده على الوقائع الحقيقية (التاريخية) الواردة في كتابات تاريخ الجزائر الرسمي وبالخصوص حدث تلغيم الحدود ووضع خطي "شال وموريس" إبان الوجود الاستعماري في الجزائر.
- لغة محمد مرتاض لغة سردية قوية تخرج من صلب المادة التاريخية ومن واقعها، لكنها تحلق في فضاءات التخييل الروائي.
- المكان التاريخي الغالب في الرواية فضاء قروي ريفي، ذكر فيه الروائي أسماء أماكن موجودة في الواقع الحي أغلبها تتواجد بمنطقة الغرب الجزائري.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا:المصادر

1-محمد مرتاض، وادي الأسرار.

ثانيا:المراجع

1. إدريس قصوري، أسلوبية الرواية(مقاربة أسلوبية)، لرواية "زقاق المدق" لنجيب محفوظ، عالم الكتب الحديث، الأردن، (د.ط)، 2008.
2. آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار للنشر، (ط1)، 1997.
3. أ.أمندلاو، الزمن والرواية، مراجعة:إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (ط1)، 1997.
4. بشير عبد العالي، تحليل الخطاب السرديو الشعري، دار الغرب للنشر والتوزيع (د.ط).
5. بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية، المغربية للنشر والإشهار، تونس، (ط1)، 2003.
6. جودي حماش،بناء الشخصية في حكاية "عبدو والجماجم والجبل" لمصطفى فاسي، (مقاربات في السرديات)، منشورات الأوراس، الجزائر، (د.ط)، 2007.
7. حسن الأشلم، الشخصية الروائية عند خليفة حسن مصطفى، مجلس الثقافة العلم، القاهرة، (د.ط)، 2006.
8. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، (ط1)،1990.

9. سعيد سلام، التناص التراثي(الرواية الجزائرية أنموذجا)، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، (ط1)، 2010.
10. سمر روحي الفيصل، الرواية العربية ومصادرها، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، (د.ط)، 2009.
11. سهام مادن، الفصحى والعامية وعلاقتهما في استعمالات الناطقين الجزائريين، كنوز الحكمة، الجزائر، (د.ط)، 2011.
12. سيزا قاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، (ط1)، 1984.
13. الشريف خبيلة، مكونات الخطاب السردي (مفاهيم نظرية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، تبسة، الجزائر، (ط1)، 2011.
14. عامر غرابيه، الشخصية الروائية ووظيفتها أنواعها سماتها، الأردن، (د.ط)، 2005.
15. عبد الرحمان محمد محمود الجبوري، بناء الرواية عند حسن مطلك (دراسة دلالية)، المكتب الجامعي الحديث، العراق، (د.ط)، 2012.
16. عبد السلام أقلمون، الرواية والتاريخ، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، (ط1)، 2010.
17. عبد الكريم الجبوري، الإبداع في الكتابة والرواية، دار الطليعة الجديدة، سوريا، دمشق، (ط1)، 2003.
18. عبد الله إبراهيم، المتخيل السردي (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، (ط1)، 2010.
19. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1998.
20. غادة الإمام، جاستون باشلار جماليات الصورة، دار التنوير، بيروت، لبنان، (ط1)، 2010.

21. غالب هلس، المكان في الرواية العربية (عن كتاب الرواية العربية واقع وآفاق)، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، (ط1).
22. فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، (ط1)، 2004.
23. محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 2005.
24. مصطفى الكيلاني، الرواية والتأويل، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (ط1)، 2009.
25. مصطفى المويقن، تشكل المكونات الروائية، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، (ط1)، 2006.
26. نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، جدارا للكتاب العالمي، عمان، (ط1)، 2006.
27. نواف أبو ساري، الرواية التاريخية، بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، (د.ط)، 2003.
28. ياسين النصير، الرواية والمكان (دراسة المكان الروائي)، دار نينوي، سورية، دمشق، (د.ط)، 2010.

ثالثا: المراجع المترجمة

1. فلادمير بروب، مرفولوجية الخرافة، تر: ابراهيم الخطيب، الشركة المغاربية للناشرين المتحدين، الدار البيضاء،(ط1)، 1996.
2. م.باختين، "شعرية دوستويفسكي"، تر: جميل نصيف، دار توبقال، (ط1)، 1986.

ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، باريس، (ط2)، 1982.

رابعا: المجلات

1. حسن عليان: تعدد الأصوات والأقنعة في الرواية العربية، مجلة جامعة دمشق، المجلد:24، ع:1+2، 2008.
2. حليمة بولحية: تجلي التاريخ في الرواية الجزائرية "طيور في الظهيرة والبزاة" لمرزاق بقطاش أنموذجا، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، ع:09، 2013.
3. جميلة قيسمون، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، ع:13، 2013.
4. هنية جوادي: التمثيل السردي للتاريخ الوطني في روايات واسيني الأعرج، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، ع:09، 2013.

خامسا: الرسائل الجامعية

1. إيمان بن عمر، رؤية التاريخ في "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد" لواسيني الأعرج (دراسة في تخييل المرجع)، إشراف: دحمان عبد الرزاق، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الأدب الحديث والمعاصر، جامعة بسكرة، 2013.
2. سعاد عون، شعرية السرد في قصص غادة السمان المجموعة القصصية "القمر المربع" أنموذجا (دراسة سيميوتأويلية)، إشراف: السعيد جاب الله، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب،جامعة باتنة، 2014.

3. السعيد زعباط، رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد" لواسيني الأعرج (بين الحقيقة التاريخية والمتخيل الروائي)، إشراف: عبد السلام صحراوي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري، جامعة قسنطينة، 2010.

4. سليمة عذراوي، الرواية والتاريخ(دراسة في العلاقات النصية) رواية العلامة لابن سالم حميش نموذجا، إشراف: واسيني الأعرج، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2006.

5. العلمي مسعودي، الفضاء المتخيل والتاريخ في رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج "دراسة بنيوية"، إشراف: دجلولي العيد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري المعاصر، جامعة ورقلة، 2010.

6. مسيكة بلباشة، حضور التاريخ في الرواية الجزائرية "رواية كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس" لواسيني الأعرج، إشراف: محمد الأمين بحري، مذكرة لنيل شهادة الماستر الأدب الحديث والمعاصر، 2012.

7. نجوى منصوري، الموروث السردي في الرواية الجزائرية "روايات الطاهر وطار وواسيني الأعرج أنموذجا" مقاربة تحليلية تأويلية، إشراف: الطيب بودربالة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الحديث، جامعة باتنة، 2012.

الفهرس

مقدمة .....أ-ب

مدخل: تحديد مفهوم مفردات البحث

مفهوم الرواية 04

مفهوم التاريخ 08

علاقة الرواية بالتاريخ 11

حضور التاريخ في الرواية العربية 16

الفصل الأول: تجليات التاريخ في الرواية

الأحداث.....20

الزمن و المكان

الزمن 23

الاسترجاع 25

الاستباق 30

تسريع السرد 32

تعطيل السرد 34

المكان 35

الأماكن المفتوحة.....37

الأماكن المغلقة.....41

الشخصيات 43

الشخصيات الرئيسية 46

الشخصيات الثانوية 51

الفصل الثاني: جماليات التاريخ في الرواية

اللغة السردية واللغة التاريخية 60

اللغة السردية 61

اللغة التاريخية 62

المكان التاريخي و المتخيل الروائي 68

شعرية الزمن التاريخي 72

خاتمة 76

قائمة المصادر و المراجع 77

الفهرس 82

ملـــــــــخـــــص:

"وادي الأسرار" رواية تاريخية حاول فيها الروائي محمد مرتاض تركيب الحياة في فترة من فترات ثورة نوفمبر و بالذات فترة تلغيم الحدود و زرع خطي شارل و موريس، كانت أحداثها واقعية لأنه ذكر أماكن موجودة في الواقع في الشق الغربي من الجزائر، و هو في الأصل من تلك المنطقة، و قد صاغ شخصية البطل و تحدث على لسانه، و قد حاولنا دراسة هذه الرواية من حيث ارتباطها بالتاريخ فكانت هذه خلاصة بحثنا هذا.

***

« Ouad al'assrar »It is a historical story wich the storyteller « Mohammed Mortath » tried to combine the life in once period of November war especially in period of min the borders and plant « shall and mouriss » lines, It was an actual events because he mentioned a places that actually exist in the western part of algeria, and his origin from that area, and he formulated personality of the hero and he spoke over his

tongue, and we tried to learn this story from it’s linking with history. It was the conclusion of owrresearch.